البابا شنوده الثالث

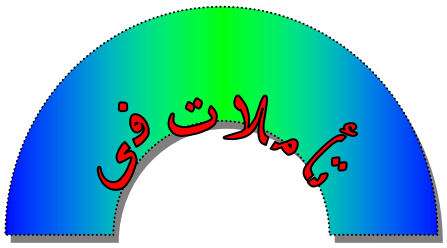

مزامير وقطع النوم

Contemplations on The 12th Hour Prayer

By H.H. Pope Shenouda III

الطبعة الأولى
يوليو 2001
القاهرة

Ist. Print
July 2001
Cairo

الكتاب : تأملات فى مزامير وقطع النوم

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية – القاهرة

الطبعة : الأولى يوليو 2001

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – العباسية – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب : 2001/9989

مقدمة الكتاب

وضعت لنا الكنيسة المقدسة " الصلوات السبع " لمنفعتنا جميعا ، لتكون صلة بيننا و بين الله طوال ساعات النهار 0

ولكننا نلاحظ عمليا أن غالبية المؤمنين يهتمون بالأكثر ، بصلاة الغروب و النوم فى آخر اليوم ، وبصلاة باكر فى أول النهار 0

ولهذا كان أول ما أصدرته لكم فى هذا المجال " تأملات فى مزامير الغروب " ثم " تأملات فى مزامير باكر " 00 مع تأملات فى مزامير باكر " 00 مع تأملات فى مزامير منفردة مثل مزمور " يا رب لماذا ؟ " من مزامير باكر و مزمور " يستجيب لك الرب " من مزامير الثالثة 00 و بقيت التأملات فى صلاة النوم ، على الرغم من الإعلان عنها 0

حقا ، لقد تأخر هذا الكتاب فى الوصول إليك أيها القارئ العزيز و لكن نشكر الله إنه وصل أخيراً 0

إنه يشمل تأملات فى بعض مزامير النوم ، وهى 00

1-من الأعماق صرخت إليك يا رب 0

2-ها باركوا الرب يا عبيد الرب 0

3-سبحى الرب يا أورشليم 0
ثم بعد ذلك قطع صلاة النوم و منها : هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل 00
توبى يا نفسى ما دمت فى الأرض ساكنة 00 أنهضى من رقاد الكسل 00 أيتها العذراء الطاهرة 0
نضع كل هذا بين يديك ، ونرجو الله أن يقبل صلواتك وصلواتنا 00

البابا شنوده الثالث

من الأعماق صرخت إليك يا رب مز ١٢٩ (١٣٠)

من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب اسامع إلى صوتى ،
لتكن اذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى 0
أن كنت للآثام راصداً يا رب ، يارب من يثبت لأن من عندك
المغفرة 0
إنتظرت نفسى الرب أكثر من المراقبين الصبح أكثر من المراقبين

بمناسبة الصوم الكبير الذى هو فترة مقدسة تليق بالتوبة ، نود أن .نتأمل معاً فى هذا المزمور الذى هو أحد مزامير التوبة المعروفة 0

ويقول المرتل : من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى 0 لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى 00 " 0

من الأعماق :

هذا المزمور ليس صلاة عادية ، بل صرخة خارجية من الأعماق إذ يقول " من الأعماق صرخت إليك يا رب " 00

فأى أعماق هى

من عمق القلب ، من عمق الفكر ، من عمق المشاعر و الأحاسيس ، صرخت إليك 0 صرخت إليك ، من عمق احتياجى إليك 0 من عمق ضعفى و تعبى 0 من عمق السقوط الذى أنحدرت إليه ، واحتاج فيه إلى مغفرتك 0 من عمق الخطية صرخت إليك ، ومن عمق التعاسة التى تجلبها الخطية 0

من عمق الشعور بالعجز و الفشل الذى يجرنى أحيانا إلى خوف من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى 0
من عمق المشاكل التى تحيط بى ، و لا أجد لها حلا إلا عندك 0 من عمق المتاعب و التجارب ، التى تأتى من الناس و من الشيطان 0 من عمق أخطار أشعر بها تقترب إلى 0 من عمق خجلى من نفسى وأمـــامى ضعفاتى و سقطاتى 0 من عمق الهاوية التى أنافيها 0 مثل يونان الهارب منك ، الذى صلى قائلا " دعوت من ضيقى الرب 00 صرحت من جوف الهاوية 00 " (يون 2 : 2) 0
من عمق حزنى على نفسى ، من عمق خوفى 00 من كل هذه االأعماق صرخت إليك يـــا رب ، فاســـتمع صوتى 0

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص – وهم فى الأعماق – ومع ذلك لا يصلون و لا يصرخون 0 و آخرون يصلون ويصرخون ، ولكن ليس من الأعماق 0

أما أنا ففى الأعماق ، اصرخ إليك من الأعماق 0 أصرخ إليك لكى ترفعنى منها 0 أنت " المقيم المســكين من التراب و الرافع البائس من المزبلة 00 " (مز 113 : 7) 0
انا من عمق ضعفى ، صرحت إلى عمق قدرتك 0 و من عمق احتياجى ، صرخت إلى عمق قدرتك 0 و من عمق احتياجى ، صرخت إلى عمق حنانك و محبتك 0 و من عمق سقوطى ، صرخت إلى عمق مغفرتك 0 و من عمق مشاكلى ، صرخت إلى عمق حكمتك التى تحل المشاكل 00
من عمق الهاوية ، صرخت إلى علو سمائك 0

✠ ✠ ✠

إنه مزمور إنسان شاعر بخطيته ، و معترف بها ، ويطلب المغفرة أو هو مزمور إنسان فى عمق ضعفه ، يطلب المعونة
مهما كان فى أسوأ حالة ، لكنه يصلى 0 و حقا إن أعماق التعب و المذلة ، تساعد على الصلاة ، بل تدعو إليها و تمنحها عمقا 0

إن أعمق صلاة نصليها ، نرفعها و نحن فى أعمق التعب 0

وقد يسمح الله لنا بالتعب أحيانا ، لكى نصلى 0 ننزل إلى الأعماق ، فترتفع صلواتنا 0 وفى هذا المزمور ، يذكر المصلى اسم الرب 8 مرات 0
ويبدأ بعبارة " من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى " 0

صرخت إليك :

كثيراً ما يصلى الإنسان ، ولكنه قليلاً ما يصرخ فى صلاته 0 فالصراخ درجة أعمق ، يدل على مقدار الحاجة ، و جدية الصلاة

و هوذا أنا يا رب أصرخ إليك ، من أعماقى 0 أصرخ إليك كطفل يلجأ صارخا إلى أبيه القادر على معونتـــه و هكذا أنا أصرخ إليك ، أيها الحنون ، القادر على كل شئ 0 إنها صرخة استغاثة ، وصرخه إيمان ورجاء و احتياج 0 صرخة قوية ، تذكرنى الشاعر المصرى ، الذى فى أحد أزجالة شرح قوة صرخته فقال " مثل صرخة غريق بينده لقارب نجاه 0 بينده بينده ، بكل قواه ، للحياة 00" 0
إنها صرخة ، و ليست مجرد نداء 0 صرخة تجذب حنان الرب كقول المزمور :

" من أجل شقاء المساكين ، وصراخ البائسين ، الآن أقوم – يقول الرب – أصنع الخلاص علانية " (مز 12 : 5) 0

تذكرنا بقول الرب فى مثل قاضى الظلم " افلا ينصف الله مختارية ، الصارخين إليه نهاراً و ليلاً " (لو 18 : 7) 0

و تذكرنا بقول الرب " إنى قد رأيت مذلة شعبى 00 سمعت صراخهم 00 فنزلت لأنقذهم " (خر 3 : 7) 0

وقول الكتاب " صرخوا ، فصعد صراخهم إلى الله بسبب العبودية " (خر 2 : 23) 0 ما أعمق عبارة " فصعد صراخهم على الله " 0

إن المزامير تقدم لنا أمثلة من الصراخ و الإستجابة ، كقوله : " بصوتى إلى الرب صرخت ، فاستجاب لى من جبل قدسه " (مز 3 : 4)

" فى ضيقتى صرخت إلى الرب ، فاستجاب لى " (مز 20 : 1) 0 " فى ضيقى دعوت الرب ، وإلى إلهى صرخت 0 فسمع من هيكله صوتى 0 و صراخى قدامه دخل أذنيه " (مز 18 : 6)

و هكذا يصلى داود " صرخت من كل قلبى ، فاستجب لى يا رب " (مز 119 : 145) 0 " أنصت يا رب إلى كلماتى ، واسمع صراخى 00 " (مز 5 : 1) 0

وقدم لنا الكتاب مثالاً هو صراخ أهل نينوى فى توبتهم و مذلتهم :

إذ نودى فى المدينة " ليتغط الناس و البهائم بالمسوح ، ويصرخوا إلى الله بشدة 0 و يرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة" (يون 3 : 8) 0 و قد سمع الله صراخهم ، و استجاب لهم ورحمهم 0

من العجيب أن أول صراخ فى الكتاب المقدس ذكر فى قول الرب لقايين :

" صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض " (تك 4 : 10)

✠ ✠ ✠

وفى هذا المزمور ، يريد المرتل أن يصل صراخه إلى الله ، فيقول : " من الأعماق صرخت إليك يا رب ، يا رب استمع صوتى " 0

استمع صوتى

طبيعى أن الله يسمع يسمع كل ما فى الكون ، فما المقصود بكلمة " استمع صوتى " 0 و مثلها عبارة " اسمعنا " فى لحن (افنوتى نای نان) ؟

المقصود ليس مجرد سماع الأذن ، إنما الاهتمام و الاستجابة 0

مثلما نقول إن فلاناً من الناس له " كلمة مسموعة " أى أنها تصل إلى المسئولين و إلى كل المهتمين بالأمر ، و تحدث تأثيرها ، ويكون لها وزنها و تقديرها 0 و هكذا عندما يقول المصلى لله " اسمع صوتى " 0 أى اسمع بالاهتمام ، بالقلب بالإرادة بالاستجابة 0

ومن أشهر الصلوات فى هذا المجال ، صلاة سليمان يوم تدشين الهيكل 0
إذ قال للرب فى ذلك اليوم " لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً و نهاراً ، لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك فى هذا الموضع 0 واسمع تضرع عبدك " (1مل 8 : 29 ، 30) 0
و ظل يستعرض حالات الشعب المحتاجة إلى معونة من الرب و استجابة 0 و يكرر فى كل مرة عبارة " و اسمع أنت فى موضع سكناك فى السماء " و فى إحدى المرات يقول " وإذا سمعت فاغفر " 0
وفى مرة أخرى يقول " اسمع 00 واعمل واعط كل إنسان حسب طرقه كما تعرف قلبه " 0 وفى مرة أخرى يقول " اسمع صلاتهم و تضرعهم واقض قضاءهم " (1مل 8 : 39 ، 49) 0

✠ ✠ ✠

"اسمع صوتى " تذكرنا بقول المصلى فى المزمور الكبير " فلتدن و سيلتى قدامك 00 و لتدخل طلبتى إلى حضرتك " (مز 119 : 169) 0
و هكذا يقول فى مزمور آخر " أيها الرب إله الجنود اسمع صلاتى 0 أصغ يا اله يعقوب 00 التفت إلى وجه مسيحك " (مز 84 : 8) 0
إنه يطلب السمع و الإصغاء و الاهتمام ، بل و الاستجابة ، كما يقول : " اصغ يا رب إلى صلاتى ، انصت إلى صوت تضرعى 00 أستجب لى " (مز 86 : 6 ، 7)

✠ ✠ ✠

يقول " اسمع صوتى " ذلك لأن هناك صلوات لا تسمع ، أى لا يلتفت الرب إليها ، و لا يقبلها 0 إنها صلوات مرفوضة 0
مثال ذلك قول الرب لليهود أيام اشعياء النبى ، حينما كانوا يحفظون الفرائض ويصلون من شفاههم لا من قلوبهم ، وهم بعيدون عن الله بخطاياهم 0 فقال لهم الرب " حين تبسطون أيديكم ، استر وجهى عنكم 0 وإن اكثرتم الصلاة ، لا اسمع 0 أيديكم ملآنة دما 00 " (أش 1 : 15)

✠ ✠ ✠

فهل يمكن أن يسد الله أذنيه ، ويصد مثل هذا المصلى ؟
نعم ، هناك صلوات غير مقبولة ، مثل صلاة الفريسى فى مثل الفريسى و العشار (لو 18 : 11 ، 12) 0 أو صلوات " المرائين فى المجامع و فى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس " (مت 6 : 5) 0 أو كالكتبة و الفريسيين المرائين الذين " لعلة يطيلون صلواتهم " بينما هم يأكلون بيوت الأرامل " (مت 23 : 14)
كلها صلوات لا يسمعها الله ، أى لا تستحق أن يسمعها الله

✠ ✠ ✠

فانا أصرخ إليك يا رب ، لكى تسمع صلاتى ، لكى تدخل صلاتى إلى حضرتك ، لكى تقبلها إليك ، على الرغم من خطاياى وعدم استحقاقى ، و على الرغم من شعورى بعدم وجود دالة حاليا بينى و بينك ؟!
كل ما ريده أن تصل صلاتى إليك 0 و أترك الباقى إلى محبتك ، أنت الذى لا تعاملنى بحسب خطاياى ، و إنما بحسب رحمتك 0
إننا نعرف أن احتياجاتنا تصل إليك ، حتى لو لم نصل !
كما قلت من قبل " قد رأيت مذلة شعبى 0 سمعت صراخهم بسبب مسخريهم 00 علمت أوجاعهم 00 فنزلت لأنقذهم " (خر 3 : 7) فعلت ذلك على الرغم من أنهم لم يصلوا و قتذاك 0

✠ ✠ ✠

كذلك قد يستمع الرب إلى دموعنا دون أن نصلى 0 كما يقول المرتل فى المزمور " أنصت إلى دموعى " الدموع لها صوت يسمعه الله ، حتى و لو بدون صلاة 0 ولكن لها استجابة من قلب الله الحنون 0 أو حتى لو كان الإنسان يصلى فى قلبه ، وصوته لا يسمع ، كما كانت تفعل حنة طالبة من الله نسلا ، دون أن ترفع صوتها " (1صم 1 : 13)

" استمع يا رب صوتى " 0 أشعرنى أنك أستلمت صلاتى ، و عرفتها 0 و دخل صراخى إلى أذنيك ، ويكفينى هذا 0

أصلى أن صلواتى تسمع 0 و سأستمر فى الصلاة حتى أتأكد من هذا 0 و اثقاً أنك مادمت قد سمعت الصلاة ، فسوف تتصرف 0

يقول المرتل بعد ذلك : إن كنت للآثام راصداً يا رب ، يا رب من يثبت ، لأن من عندك المغفرة 0

إن كنت للآثام راصداً ..

طبيعى أن الله يعرف كل خطية نرتكبها ، سواء بالقول ، أو بالفعل ، بالفكر ، أو بجميع الحواس 0 كما قال قال القديس يوحنا فى رؤياه : " و انفتحت أسفار 00 و دين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب اعمالهم " (رؤ 20 : 12) 0 كما قال القديس بولس الرسول " لأنه لابد أننا جميعا نظهر امام كرسى المسيح ، لينال كل و احد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً " (2كو 5 : 10)

فما معنى " إن كنت للآثام راصداً " ، بينما الكل مسجل و مرصود ؟

إن الله كلى المعرفة ، و لا يخفى عليه شئ 0 إذن فهو يعرف و يرصد 0 و هو الذى وضع الضمير فى الإنسان الذى يرصد أعماله ، و بالأولى الله 0 وهو أيضاً القدوس الذى لا يقبل الخطية ، و العادل الذى لا يتساوى أمامه الطيب و الخبيث إذن ما المقصود بقول المرتل : إن كنت للآثام راصداً يا رب 00

أى إن كنت ترصد الآثام لتعاقب عليها 0 0 تخرنها لتديننا بها 0

إن كنت كذلك ، فمن يثبت ؟! كلنا خطاة 0 كلنا فى الموازين إلى فوق 0 إن حاسبتنا ، فسوف يستد كل فم 0 وكما فم 0 و كما يقول المرتل للرب فى مزمور آخر : " لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك 0 فإنه لا يتزكى قدامك أى حى " (مز 143 : 2) 0

أنت لا ترصد الخطايا ، بل تمحوها بالمغفرة 0

إنه كالطبيب يرصد الأمراض لكى يعالجها ، وليس لكى يوبخ المريض عليها 0 كل علل المريض واضحة أمامه ، ولكن لكى يخلصه منها 0 و هكذا انت أيضاً قلت " لم آت لأدين ، بل لأخلص " 0 إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو 9 : 56) 0 و جاء يطلب و يخلص ما قد هلك " (لو 19 : 10) 0 وكيف ذلك ؟ 00 بالمغفرة 0

لأن من عندك المغفرة :

طول أناته ، تقود إلى التوبة (رو 2 : 4) 0 وبالتوبة المغفرة 0 و يتغنى المرتل بهذه الغفرة ، فيقول " طوبى للذى غفر إثمه و سترت خطيته 0 طوبى لإنسان لا يحسب له الرب الرب خطية " (مز 32 : 1 ، 2)0 هذه الخطايا التى لا تحسب ، يقول عنها الرب فى سفر ارميا النبى " لأنى أصفح عن إثمهم ، و لا أذكر خطيتهم بعد " (أر 31 : 34) 0

لا يحسب لنا خطايانا ، فى التوبة من جهتنا 0 و أيضاً فى المصالحة التى تمت على الصليب ، كما قال القديس بولس الرسول " إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم " (2كو 5 : 16) 0

الله إذن – فى المصالحة – لا يرصد الخطايا ، بل يمحوها 0

" إذ محا الصك الذى علينا 00 مسمراً اياه على الصليب (كو 2 : 14) 0 و قال الرب " أنا أنا هو الماحى ذنوبك 0 و خطاياك لا أذكرها " (أش 43 : 25) 0 و أيضاً " قد محوت كغيم ذنوبك ، و كسحابة خطاياك " (أش 44 : 22) 0 كل ذلك بشرط التوبة 0

من أجل اسمك

صبرت لك يا رب :

أنا من أجل اسمك ، صبرت إلى أن يأتى خلاصك 0 صبرت إلى أن تأتينى معونتك ، وإلى أن أنال مغفرتك

فما هو اسمك الذى صبرت له ؟

اسمك كمخلص 0 وعنك قال الملاك المبشر بميلادك : " و تدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم " (مت 1 : 21) 0 فكلمة يسوع معناها مخلص 0

وأيضاً صبرت من أجل اسمك (عمانوئيل) " الذى تفسيره الله معنا " (مت 1 : 23) 0 فمادمت معنا ،إذن ساصير لعملك فينا ، و عملك من أجلنا 0

من أجل اسمك الحنون الشفوق الغفور ، الذى " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، و لم يجازنا حسب آثامنا " (مز 103 : 10) 00 الذى قيل عنه " الرب رحيم ورؤوف ، طويل الروح ، كثير الرحمة 0 لا يحاكم إلىالأبد ، و يحقد إلى الدهر " (مز 103 : 8 ، 9) 0

من أجل اسمك هذا ، صبرت و أنا مملوء بالرجاء 0

صبرت و أنا واثق أنك ستعمل فى للتوبة و للمغفرة 0 و ستعمل فى لكى أنفذ وصاياك وناموسك 0

صبرت نفسى لناموسك

انتظرت نفسى لناموسك

انتظرت حتى يمكننى أن أنفذ ناموسك فى 0 صبرت حتى تأتينى المعونة التى أنفذ بها كل كلامك 0 أو فى ترجمة اخرى " أكثر من المراقبين الصبح " 0 أى الذين فى الظلمة و ينتظرون الصبح متى يجئ فهم يراقبون مجيئه 0

و هنا أراقب مجئ صبحك متى يأتى ليبدد ظلمتى 0

✠ ✠ ✠

ثم يتحول من صلاته لأجل نفسه إلى الصلاة لأجل الشعب كله فيقول : أكثر من المراقبين الصبح فلينتظر اسرائيل الرب 0

و كلمة (إسرائيل) هنا لها معنى رمزى 0 أى الشعب كله فلينتظر الرب من الليل حتى الصبح 0

✠ ✠ ✠

" لأن الرحمة من عند الرب ، و عظيم هو خلاصه (فداؤه) 0 وهو يفدى إسرائيل من كل آثامه " 0

هنا الذى يصرخ من الأعماق ، الذى ينتظر من الظلمة مراقباً الصبح متى يجئ ، إنما ينتظر خلاص الــرب الذى سيأتى بالفداء 0 وهو خلاص ينتظره كل الشعب 0 و عنه عبر سمعان الشيخ بقولــه " الآن يــا رب تطلق عبدك بسلام ، لأن عينى قد ابصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب " (لــو 2 : 29 / 30) 0 و المصلى واثق الرب سيفدى الشعب من كل آثامه 0

تفسير مزمور
ها باركوا الرب

ها باركوا الرب ..

ها باركوا الرب يا عبيد الرب ،
القائمين في بيت الرب ، في ديار إلهنا .
في الليالي ارفعوا أيــديكم أيهــا القديسون ، وباركوا الرب .
يباركم الرب مــن صــهيون ، الذي خلق السموات والأرض .

هللويا

هذا المزمور القصير ، السهل الحفظ ، هو من المزامير المشهورة في صلواتنا اليومية ، في الأجبية . إنه مكرر في صلاة النوم ، وصلاة الستار ، ومقدمة صلاة نصف الليل ، وفي الهجعة الثالثة منها . فما سر العمق الذي فيه ؟ الذي من أجله وضع في كل تلك الصلوات ؟
لكى نجيب على هذا السؤال ، فلنتناول فقرات المزمور واحدة واحدة ونتأملها :

ها باركوا الرب

مباركة الله لنا ، هي مباركة الكبير للصغير (عب7 : 7) .

أما مباركتنا للرب ، فتعنى تسبيحه ، أو الاعتراف ببركته ، وشكره عليها .

وهكذا يقول داود في المزمور " باركى يا نفسى الرب ، ولا تنسى كل حسناته " (مز103 : 1 ، 2) . ويعنى هنا الاعتراف ببركاته وحسناته ، وذكرها باستمرار ، ومن أعماق القلب " باركى يا نفسى الرب ، وكل ما في باطنى فليبارك إسمه القدوس " .. وبعد ذلك يذكر المرتل بالتفصيل إحسانات الله إليه .
وهكذا فعل زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان ، لما فك الله عقدة لسانة : انفتح فمه وبارك الله (لو1 : 64) . وهكذا فعل سمعان الشيخ ، لما رأى الطفل يسوع ، فشكر الله على خلاصه ، إذ " حمل الطفل على ذراعية ، وبارك الله " (لو2 : 28) .

✠ ✠ ✠

ومباركتنا لله تعنى تمجيده أيضاً .

وهكذا نقول في تسبحة البصخة باستمرار " لك القوة والمجد والبركة " .
ويقول القديس يعقوب الرسول عن اللسان " به نبارك الله الآب ، وبه نعلن الناس الذين خلقوا على شبه الله " (يع3 : 9) . وهنا عبارة نبارك الله تعنى نمجده أو نسبحه ...
وبالمثل حينما قال أيوب الصديق في تجربته " الرب أعطى ، الرب أخذ . ليكن اسم الرب مباركاً (أي ممجداً " (أي1 : 21) . ويقول المرتل للرب في المزمور " طوبى لكل السكان في بيتك ، يباركونك إلى الأبد " (مز84 : 4) أي يمجدونك ويسبحونك .

✠ ✠ ✠

وهنا نرى داود في هذا المزمور يدعو الناس إلى مباركة الله .

أي إلى تسبيحه وتمجيده ، فيقول " ها باركوا الرب يا عبيد الرب " . وهو في المزمور (103) لا يقتصر فقط على دعوة البشر بل أنه يقول " باركوا الله يا ملائكته المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه . باركوا الرب يا جميع جنوده ، خدامه العاملين مرضاته . باركوا الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه . باركي يا نفسي الرب " (مز103 : 20 – 22) .
ونرى هنا أن الذين يباركون الرب أي يمجدونه ، هم الفاعلون أمره ، العاملون مرضاته .
هم الذين يمجدونه بالطاعة ، ويسبحونه بعمل مشيئته . وهم الذين ينطبق عليهم قول الرب في العظة على الجبل " فليضئ نوركم هكذا قدام الناس ، لكى يروا أعمالكم الحسنة ، ويمجدوا أباكم الذي في السموات " (مت5 : 16) . فعلمنا الخير ، يجعل اسم الرب مباركاً من الناس .

✠ ✠ ✠

إننا نبارك الرب بأساليب روحية متعددة ومتنوعة .

نباركه في صلواتنا بكلام التسبيح والتمجيد . ونباركه بقبول مشيئته وعدم التذمر أياً كان الأمر ، كما ترك أيوب الصديق لنا مثالاً . ونباركه أيضاً بالخشوع والوقار ، في بيت أيوب الله ، وفي وقت الصلاة . ونباركه حينما لا ننطق باسم الرب باطلاً (تث5 : 11) . ونباركه حينما تكون حياتنا قدوة للناس ، وحينما ندعو الناس إلى محبته وحفظ وصاياه .

على أن المرتل يقدم لنا دافعين أساسيين للمباركة فيقول : يا عبيد الرب " القائمين في بيت الرب " .

يا عبيد الرب

عبيده هم خدامه العاملين مرضاته ، الذين ليسوا عبيداً لغيره ، أياً كان هذا الغير ، شخصاً كان أو شيئاً . كما قال الرب عن المال " لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدروا أن تخدموا الله والمال " (مت6 : 24) .. وعبيد الرب ، هم الذين لا يصنعون لهم على الأرض تمثالاً منحوتاً .. وهنا أحب أن أقول :

إن بنوتنا لله ، لا تمنع كوننا عبيداً له .

✠ ✠ ✠

هوذا الرب يقول للإنسان البار في اليوم الأخير " نعماً أيها العبد الصالح والأمين . كنت أميناً في القليل ، فأقيمك على الكثير . ادخل إلى فرح سيدك " (مت24 : 21 ، 23) .. قال هذا لصاحب الخمس الوزنات ، كما قاله لصاحب الوزنتين أيضاً .

بل حتى الرعاة أيضاً دعاهم عبيداً ، مثل رعيتهم .

فقال يا ترى من هو الوكيل الأمين ، الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم في حينه . طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله " (لو12 : 42 – 44) . هذا الوكيل الأمين الحكيم المقام على الكل ، هو عبد أيضاً ...

ما أجمل أن نقرأ في رسائل بولس الرسول ، الذي صعد إلى السماء الثالثة ، والذي تعب أكثر من جميع الرسل (2كو12) إنه يبدأ بعضاً من رسائله بقوله " بولس عبد ليسوع المسيح " (رؤ1 : 1) . " بولس وتيموثاوس عبدا ليسوع المسيح " (فى1 : 1) . " بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح " (تى1 : 1) ..

فلا نجعل بنوتنا لله تجعل قلوبنا ترتفع .

✠ ✠ ✠

إنما عبارة " عبد " نقودنا إلى الإتضاع والتخشع .

وتقودنا أيضاً إلى الطاعة ، بل كما قال الرب " مهما فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون .. " (لو17 : 10) . وما أجمل ما قاله القديس أوغسطينوس في إحدى صلواته من أجل شعبه .. قال " اطلب إليك يارب من أجل سادتى ، عبيدك " . فإن كنا خداماً لأفراد الرعية ، فكم بالأكثر نكون من أجل إلهها وإلهنا .. ها باركوا الرب يا عبيد الرب ، القائمين في بيت الرب :

القائمين في بيت الرب

نقول هذه العبارة على نوعين من الناس :

إما خدام بيت الرب ، أو أي أناس يصلون في بيته .

ها باركوا الرب يا عبيد الرب خدامه ، رجال الإكليروس عموماً ، القائمين في بيت الرب باستمرار .. أو عن الرهبان الساكنين في بيت الرب في ديار إلهنا ، الذين يقول عنهم المرتل في المزمور " طوبى لكل السكان في بيتك ، يباركونك إلى الأبد " (مز84) ، غذ ليس لهم عمل آخر سوى تسبيح الرب ، يباركونه الآن وإلى الأبد .

أو تقال على المصلين في الكنيسة ، أو في ديار الرب ، لا ينشغلون بشيء آخر غير التسبيح .

فيقول لهؤلاء : حينما تدخلون بيت الرب ، لا يكن لكم عمل آخر سوى هذا : ها باركوا الرب .. لأنه إن كنا لا نبارك الله في بيته ، فلماذا دخلنا بيته إذن ؟!

على أن كل مكان نقدسه بصلواتنا ، يمكن أن يعتبر بيتاً للرب . إنه " الكنيسة يصلون ويسبحون الرب في السجون ، حولوها بذلك إلى بيوت للرب ، ولو إلى حين .. بل إن كل مكان نصلى فيه صلاة الشكر نقول عنه للرب " . وهذا الموضع المقدس الذي لك " .

✠ ✠ ✠

إن المؤمن الحقيقى يحول كل مكان إلى بيت الرب .

ويصلى ويقول " للرب الأرض وملؤها . المسكونة وجميع الساكنين فيها " (مز23 : 1) .. أليس آباؤنا الرهبان والسواح والمتوحدون قد حولوا كل البراري التي عاشوا فيها على بيت للرب ، بتسابيحهم وصلواتهم المرفوعة إليه .. بل إن المؤمن المحب لله قد يقول له : كل بيت ليس لك ، لا أستطيع يارب أن أدخله ، إلا لكى أدخل اسمك فيه ، أو أحوله إليك بطريقة ما ..

المرتل يدعو القائمين في ديار إلهنا إلى أن يباركوه (يسبحوه) . ولكن كيف ؟ ومتى ؟ إنه يقول " في الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون ، وباركوا الرب " .

في الليالى

الليل الهادئ الساكن ، الخالى من ضوضاء النهار ، ومن مشاغله ولقاءاته ، تحلو فيه الصلاة .. وما أصدق ذلك الأب الروحى الذي قال " إن الليل مفروز لعمل الصلاة " .. وقال أيضاً " إن صلاة واحدة تصليها بالليل ، أفضل من مائه صلاة تصليها بالنهار " ..

يقصد الصلاة التى تصليها في ذلك السكون ، وتتميز لذلك بجمع الفكر ، وجمع الحواس ، وعدم التشتت ، وعدم الإنشغال ...

ولذلك ما أجمل ما قيل عن السيد المسيح إنه " كان في النهار يعلم في الهيكل ، وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون " (لو21 : 37) . وكان جبل الزيتون مكاناً للصلاة والتأمل .

أو قيل عن الرب أيضاً إنه : " خرج إلى الجبل ليصلى ، وقضي الليل كله في الصلاة " (لو6 : 12) .

وهنا نركز على ربط الليل بالصلاة ، وبالجبل .. ومما يذكر عن الليل أيضاً أنه " اتى على تلاميذه في الهزيع الرابع من الليل " (مت14 : 25) . وقيل عن مجئ المسيح الثانى " وفي منتصف الليل صار صراخ : هوذا العريس قد اقبل " .. (مت25 : 6) .

✠ ✠ ✠

ومسألة الليل ، تذكرنا بفضيلة السهر ..

السهر لاستقباله .. كما قيل " اسهروا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء ، او نصف الليل ، أم صياح الديك ، أو صباحاً .. لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياماً " (مر13 : 36) وقال ايضاً " طوبى لأولئك العبيد ، الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين " (لو12 : 37) .

وما أكثر القصص التى وردت في سير القديسين عن سهرهم الليل كله في الصلاة ، مثلما كان يفعل القديس أرسانيوس الكبير . وما أجمل ما قيل عن الرعاة في قصة الميلاد إنهم كانوا " يحرسون حراسات الليل " (لو2 : 8) .

✠ ✠ ✠

والليل له تأملاته وصلواته الكثيرة في مزامير داود :

إنه يقول " ذكرت في الليل إسمك يارب " (مز119 : 55) .. " وفي نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك " (مز119 : 62) ..

" بالليل بسطت يدى " (مز6 : 6) . فكان الليل إذن للصلاة وللشكر والبكاء على الخطايا ، كما يقول أيضاً " في العشاء يحل البكاء ، وفي الصباح السرور " (مز29) .

✠ ✠ ✠

" وما أصلح الليل للتأمل ، ولمحاسبة النفس أيضاً " .

كما تقول عذراء النشيد " في الليل على فراشى ، طلبت من تحبه نفسى " (نش3 : 1) .. حتماً أن الله يطلبنا في هذا الوقت الهادئ . وإن لم نفتح له قلوبنا ، يعاتبنا بقوله " لأن رأسى قد أمتلأ من الطل ، وقصصى من ندى الليل " (نش5 : 2) .

حقاً إن الذي يكسب صداقة الليل ، لا يعتب من شغب النهار .

وأقصد أن الذي يقضى الليل في الصلاة والقراءة والتأمل ، وفي مناجاة الله ، وفي البكاء على خطاياه .. هذا يكنز به رصيداً من الروحيات ، تصد عنه هجمات العدو في حروب النهار وعثراته ...

✠ ✠ ✠

الليل أيضاً حافل بقصص الرؤى والأحلام التى من الله .

يقول اليهو البار في قصة ايوب الصديق " لكن الله يتكلم .. في حلم في رؤيا الليل ، عند سقوط سبات على الناس ، في النعاس على المضجع . حينئذ يكسف آذان الناس .. " (أى33 : 14 – 16) ..

وما أكثر الأحلام المقدسة التنى أرشد فيها الرب أبراره ليلاً مثلما ظهر ملاك الرب في حلم ليوسف النجار ، وبشره بميلاد المسيح (مت1 : 20 – 24) . وفي حلم آخر كلمة أن يذهب إلى مصر في حلم للمجوس وأرشدهم (مت2 : 12) .

الملاك الذى أنقذ بطرس من السجن ، جاءه ليلاً (أع12 : 6) وكذلك في نصف اللي كان انقاذ بولس وسيلا (أع16 : 25 ، 26) . وفي اللي أيضاً كان قول الرب لبولس " كما شهدت بما لي في أورشليم ، ينبغى أن تشهد في رومية أيضاً " (أع23 : 11) .

يقول المرتل " في الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون ، وباركوا الرب " . وهنا نقف عند عبارة " ارفعوا أيديكم " .

ارفعوا أيديكم

رفع اليدين هو اتجاه نحو السماء كرسى الله .

يقول داود النبى " باسمك ارفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم " (مز63 : 4) . ويقول أيضاً " فلتستقم صلاتى كالبخور قدامك . وليكن رفع يدى ذبيحة مسائية " (مز141 :2) . ويقول أيضاً " بسطت إليك يدى . صارت نفسى نحوك مثل أرض بلا ماء " (مز143 : 6) . وأيضاً " دعوتك يارب كل يوم بسطت إليك يدى " (مز88 : 9) .

✠ ✠ ✠

إن رفع اليدين هو اشتراك للجسد مع الروح في الصلاة .

هو لون من خشوع الجسد ، وارتفاعه إلى الله ، مع الروح .. ليست الروح فقط هي التى تصلى ، إنما الإنسان كله روحاً وعقلاً وجسداً . الجسد يرفع يديه إلى فوق ، ويرفع نظره إلى فوق وتنحنى هامته إلى أسفل ، وتركع قدماه ويسجد .

موسى كان يرفع يديه ، فينتصر الجيش على عماليق (خر17 : 11) . وإذا انخفضت يداه ، كان الجيش ينهزم ، فثبتوا يديه مرفوعتين إلى غروب الشمس ، فهزم يشوع عماليق (خر17 : 12 ، 13) . إن بسط اليدين كذلك ، علامة للصليب .

" ارفعوا أيديكم ايها القديسون وباركوا الرب " .

إن المرتل يكلم المصلين القديسين الذين يرفعون أيديهم في الصلاة إلى فوق ، ساهرين الليل فـــي الصـــلاة يسبحون الله . ويقول لهم أن الله سيمنحكم بركته .

يبارككم الرب

" يبارككم الرب من صهيون الذي خلق السماء والأرض " .
هنا الاستجابة للصلاة : منح البركة لكم من الله .
" من صهيون " أي من جبلة المقدس ، من موضع قدسه ، من مكان الذبيحة والمذبح ورائحة البخور .
" يبارككم الرب الذي صنع السماء والأرض " (الذي صنع السماء التىترفعون أيديكم نحوهـــا ، وصـــعنه الأرض التى تقفون عليها .. الله الخالق ، القادر على كل شئ ، مصدر كل بركة يبارككم بكل بركة روحية (والبركة) موضوع طويل ، لعلنا نلتقى به في مناسبة أخرى .

سبحى الرب يا أورشليم

سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون ، لأنه قد قوى مغاليق أبوابك ، وبارك بنيك فيك 0 الذى جعل تخومك فى سلام ، ويشبعك من شحم الحنطة 0 الذى يرسل كلمته إلى الأرض ، فيسرع قوله عاجلاً جداً المعطى الثلج كالصوف ، المذرى الضباب كالرماد ، و يلقى الجليد مثل الفتات ، قدام وجه برده من يقوم ؟ يرسل كلمته فتذيبه ، تهب ريحه فتسيل المياه 0 المخبر كلمته ليعقوب ، وفرائضه و أحكامه لإسرائيل ، لم يصنع هكذا بكل الأمم ، و أحكامه لم يعرفوها لهم 0 هللويا 00

نقدم المزمور 147 و هو آخر مزمور فى صلاة النوم 0 سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون 0

أورشليم هى صهيون 0 يطلب منها المرتل أن تسبح الرب إلهها 0 أما المعنى الحرفى كما يقول القديس أو غسطينوس فهو أن هذا المزمور وسابقه عبارة عن تسبحة للرجوع من سبى بابل 0

أما من الناحية الرمزية فتشير أورشليم إلى الكنيسة حيث يوجه المصلى تأملاته إليها أثناء المزمور 0

ومن الناحية الروحية الخاصة ، يمكن أن تشير أورشليم إلى قلب الإنسان أو نفسه التى هى عروس المسيح 0 و لكن لماذا يطلب المرتل من أورشليم أن تسبح الله ؟ ما هى مناسبة التسبيح ؟

✠ ✠ ✠

لأنه قوى مغاليق أبوابك و بارك بنيك فيك 0 الذى جعل تخومك فى سلام و يملآك من شحم الحنطة

يمكن أن يقال هذا كصلاة شكر كلما يشعر الإنسان يحفظ الله للكنيسة ورعايته لها 0 فأورشليم حيث هى قلب المصلى أو نفسه ، فإنه يسبح الله شاكراً لأنه حفظه من الخطية ، إذ قوى مغاليق أبوابه 0 وأبواب النفس هى الحواس : السمع ، البصر ، اللمس 00 إلخ 0 هذه قد قوى الله مغاليقها ، فأصبحت لا تدخل إلى القلب أية فكرة شريرة ، أو أى أحساس ردئ 0 و ابواب النفس هى أيضاً الشهوات و الرغبات و الأفكار 0 و هذه قوى الله مغاليقها 0 فلو حاول العدو أن يدخل منها إلى النفس ليفسدها بأباطيل العالم ، يجدها مغلقة فى جهة 0

✠ ✠ ✠

هذا كله من الناحية السلبية 0 أما من الناحية الإيجابية ، فيقول " بارك بنيك فيك " 0هؤلاء البنون الذين تلدهم النفس من عمل الروح القدس فيها هم الفضائل 0 و عندما يبارك الله هؤلاء البنين إنما يعنى أنه يكثر ثمار القدس فى النفس ، على أن هؤلاء قد باركهم الله فيها ، أى فى داخل النفس ، و ليس خارجاً كما يفعل المراؤون 0

✠ ✠ ✠

و نتيجة لكل هذا صارت تخوم النفس فى سلام ، أى لم يعد الجسد يشتهى ضد الروح ، و لا الروح ضد الجسد ، بل تصالح الإثنان فعاش الإنسان فى سلام : فلا صراع داخلى يضنيه فى مقاتلة الشهوات 0 اصبح فى سلام من جهة حربه ضد الشيطان و الجسد و العالم 00 إلخ 0

" ويملأك من شحم الحنطة " 0 أى من الخير ، من نعمه و إحساناته 0 ولكن كيف تم هذا النصر ، هذا العمل المجيد ، سواء للقلب أو للكنيسة ؟ يجيب المرتل بقوله :

✠ ✠ ✠

الذى يرسل كلمته إلى الأرض ، فيسرع قوله عاجلاً جداً 0

يقول القديس أوغسطينوس كلمة الله هو المسيح ، وقد أرسله على الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً ، لأنه فى فترة قصيرة من الزمان كانت الكرازة قد وصلت إلى أقاصى الأرض 0

و لم يمر نصف قرن على إرسال السيد المسيح لتلاميذه حاملين قوله ، حتى أسرع قوله عاجلاً جداً ، فدخل قلوب المؤمنين بسهولة 00 بعظة واحدة من بطرس آمن أكثر من ثلاثة آلاف (أع 2 : 41)0 و بعد معجزة شفاء المقعد عند باب الجميل كثر العدد جداً 0 ثم نسمع انه " كان مؤمنون بنضمون للرب أكثر ، جماهير من رجال ونساء " (أع 5 : 14) 0 " وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع 6 : 7)

و هكذا أسرع قوله عاجلاً جداً حتى ملأ الأرض 0 فكأن المرتل يقول للكنيسة : هذا الذى بارك بنيك فيك ، هو الذى أرسل كلمته إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً 00 فباركيه و سبحيه على حاضره و ماضية معك 00

✠ ✠ ✠

على أننا يمكن أن نأخذ هذا أيضاً على النفس البشرية 0

لأن السيد المسيح شبه الإنسان الصالح بالأرض الجيدة التى أخرجت ثماراً ثلاثين و ستين و مائة (مت 13 : 23) 0 فالإنسان المشبه بالأرض الجيدة ، يسبح الله فى هذا المزمور على هذا الثمر الكثير ، لأن الله ارسل كلمته إلى الأرض فأسرع قوله عاجلاً جداً 0

يمكن أن تذكر هذه الاية من المزمور كلما قرأت أو سمعت كلام الله فترك فى نفسك أثرا قويا سريعا 00 حينئذ تقف أمام الله و تقول " سبحى الرب يا اورشليم 00 الذى بارك بنيك فيك 00 الذى يرسل كلمته إلى الأرض فيسرع قوله عاجلاً جداً " 0

هذا هو " شحم الحنطة " الذى قصده فى الآية السابقة 0 لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله " (مت 4 : 4) 0 هذا الكلام الذى يرسله الله إلى الأرض يكون كالشحم ، بل إن داود يقول " وباسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كأنها من شحم ودسم " 0 هذا هو السحم الذى يعطية الله " للجياع و العطاش إلى إلى البر " (مت 5 : 6) ، فيشبعون 0

✠ ✠ ✠

هنا يعرض لنا سؤال هام و هو :

هل هذا المزمور لا نقوله إلا فى الحالات الروحية السامية شاكرين الله على الرا\وقات التى نرى فيها تخومنا فى سلام وقد قوى الله مغاليق أبوابها و بارك بنيها فيها ، أم فى حالات الحروب ايضاً ، و التعب و الجهاد ضد الخطية ؟ يجيب المرتل على هذا السؤال بقوله : المعطى الثلج كالصوف ، و المذرى الضباب كالرماد ، و يلقى الجليد مثل الفتات 0

الله لم يدع إلى ملكوته الأتقياء فقط الحارين فى الروح ، وإنما دعا إليه من المشارق و المغارب أناساً من كل نوع 0 و هنا يميز المرتل ثلاثة أنواع : الثلج و الضباب ، و الجليد 0 فإلى من يشير هؤلاء ؟

✠ ✠ ✠

(أى 42 : 6) 0 وكما حدث فى توبة نينوى المشهورة أنه حتى ملكها تغطى بمسح و جلس على الرماد " (يو 3 : 6) 0 نعم هؤلاء الذين " سقط عليهم ضباب و ظلمة " (أع 13 : 11) 0 و حجب الضباب عنهم شمس البر فلم يروا الرب ، هؤلاء سوف لا يتركهم الله 0 بالتوبة يذرى منهم الضباب فيبصرون ، و يتحول ضبابهم إلى رماد 0

✠ ✠ ✠

و ماذا عن الجليد ؟ الجليد صلب جداً ، لا يذوب بسهولة مثل الثلج 0 إنه يشير إلى البرودة الروحية الشديدة أو إلى القسوة و الصلابة فى البعد عن الله 0

و حتى الذين على هذه الصفة يحولهم إلى فتات ، أى يغذى بهم آخرين 0 أو قد يدل هذا 0 فى رأى القديس أوغسطينوس – على انه يصيرهم أعضاء فى جسده المسيح 0 فقارن بالآية (1كو 10 : 17) 0
و يضرب القديس أوغسطينوس لهذا النوع ببولس الرسول ، فيقول عنه " كان جليداً صلبا ، ومقاوماً للحق ، صارخاً ضد الإنجيل 00 و إذا كان جليداً بدا أبيض ورائقاً ، ولكنه كان صلبا جداً وباردا ورائقا 0 فكيف كان أبيض لامعاً ؟ أنظروا 00 عبرانى مع العبرانيين من جهة الناموس فريسى ، هذا هو لمعان الجليد 0 ولكن اسمعوا الآن عن قساوة الجليد : من جهة الغيرة مضطهد للكنيسة (فى 3 : 5 ، 6) 0

✠ ✠ ✠

يمكن للمصلى أن يطبق هذه الحالات الثلاث على نفسه :

الثلج حالة برودة روحية يسمح الله بها وهو قادر أن يحولها إلى حرارة كالصوف 0 و الضباب ظلمة تكتنف النفس من جرأة الخطية ، فيزيلها الرب بالإنسحاق 0 و الجليد شدة و قوسوة وصلابة فى البعد عن الله أو التعصب لفكرة معينة 0 و يحول الله هذه الشدة لمنفعة الآخرين أو يفتتها 0
على أية الحالات نحن نشكر الله لأنه لم يبق الثلج و لا الضباب و لا الجلدي على حالة ، بل أذابه ، و إلا

فى وجه برده من يقوم ؟!

من يستطيع أن يحتمل هذه الحالات ؟! لا يملك الإنسان إلا أن يصرخ " ويلى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟" (رو ⌨ : 🗐) 🗀 بقوتى لا أستطيع شيئا 🗀 ها أنذا ازداد برودة وصلابة
أية حرارة تذيبنى حتى أسيل وأجرى ؟ من ينقذنى من جسد هذا الموت الذى فى وجه برده من يقوم ؟ هل اياس ؟! كلا ، لأنه يقول

✠ ✠ ✠

يرسل كلمته فتذيبه 00 يهب روحه فيسيل المياه 0

الله الكلمة هو شمس البر ، هو يذيب الثلج و الجليد ، ويحوله – بروحه القدوس – إلى " ماءحى ينبع إلى حياة أبدية " 0 يروى أيضاً " العطاش إلى البر " 0 ولكن كيف يحدث هذا ؟ هل هناك سر وراءه ؟ نعم ، و السر هو :

✠ ✠ ✠

المخبر كلمته ليعقوب وفرائضه وأحكامه لإسرائيل 0

ما الذى اخبر الرب به يعقوب ؟ قال له " جاهدت مع الله و الناس وقدرت " (تك 32 : 28) 0 المسالة إذن تحتاج على جهاد ، كالصراع الذى صارع به يعقوب الرب ، لا يصح أن ننام و نتهاون و نكسل ، و ننتظر أن يهب روحه فيسيل المياه ! لأن ملكوت السموات يغصب و الغاصبون يختطفونه (مت 11 : 12) 0 و فى ذلك يقول القديس أغسطينوس " لئلا إذا حصلنا بسهولة على ما فقدناه ، نتعلم أن نفقد بسهولة ما حصلنا عليه 0 فليتعب الإنسان لكى ينال 0 فإنه حينئذ سيمسك بحزم هذا الذى حصل عليه بعد تعب 00 هذه هى فرائضه و أحكامه التى أعلنها لإسرائيل " 0

✠ ✠ ✠

لم يصنع هكذا بكل الأمم و أحكامه لم يوضحها لهم 0

إذن كيف خلص الأمم ؟ كيف ذاب منهم الثلج و الضباب و الجليد ؟ يقول الرسول ! " أنت زيتونة برية ، طعمت فيها (فى الزيتونة الأصلية) ، وصرت شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها " (رو 11 : 17) 0

لم يعد الأمم أمما 0 الكل شعب واحد فى المسيح ، شعب يعقوب وروحيا يمكن للمصلى بهذه الاية أن يشكر الله على ما أوضحه له من فهم وصاياه مما لم يوضحه لغيره ، و خاصة من الأمم التى لم تعرف المسيح 0 ويشكره لأنه كشف عن عينيه ليرى عجائب من ناموسه (مز 118 : ج)

1

هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل

غالبية الشعب تصلى صلاة النوم ، وتقول فى قطعتها الأولى :
" هوذا أنا أعتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوباً و مرتعبا من أجل كثرة ذنوبى ، لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب الدينونة 0 فتوبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة ، لأن التراب فى القبر لا يسبح 0 ليس فى الموتى من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر 0 بل انهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى إلى المخلص بالتوبة ، قائلة اللهم ارحمنى و خلصنى 00 " 0

تذكار الموت

أود أولا أن أقول عن الكنيسة المقدسة باستمرار تجعل تذكار الموت قائما أمام ألإنسان ، لما فى ذلك من فؤائد روحية 0

الشخص الذى يغيب تذكار الموت عن ذهنه ، ما اسهل أن يفكر فى متع الحياة الدنيا ، و ينشغل بها و يخطئ 0 مثال ذلك الغنى الغبى الذى ظن أن سيعيش سنين عديدة ، و بدأ يفكر فى أن يهدم مخازنه و يبنى أعظم منها و تزيد خيراته و يتمتع ! (لو 12 : 8 ، 19) 0

✠ ✠ ✠

تذكار الموت موجود بشكل واضح فى صلاة النوم 0 وكذلك فى باقى الصلوات :

ففى إنجيل هذه الساعة نقرأ أن سمعان الشيخ يقول " الآن يا رب ، اطلق عبدك بسلام حسب قولك " (لو 2 : 29) 0 وفى القطع واضح تذكار الدينونة 0 وايضاً فى القطعة الثانية " لو كان العمر ثابتاً وهذا العالم مؤبداً ، لكان لك يا نفسى حجة واضحة ، 00 "

وفى صلاة باكر – مع أننا فى أول النهار – نصلى فى المزمور 12 ونقول " أنر عينى لئلا أنام نوم الوفاة "

وفى صلاة الساعة الثالثة فى مزمور (الرب يرعانى) ، نقول " إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخـاف شراً 00 "

و فى الساعة السادسة نتذكر صليب المسيح الذى أبطل الموت بموته 0 و نناجى القديسة العذراء بقولنـا " من قيل صليب إبنك انهبط الجحيم وبطل الموت 0 أمواتاً كنا ، فنهضنا واستحققنا الحياة الأبدية " 0

وفى الساعة التاسعة ، تذكار موت المسيح واضح 0 ونقول فى مزاميرها " ارجعى يا نفسى إلـى موضـع راحتك ، فإن الرب قد أحسن إلى 00" 0 وايضاً كريم أمام الرب موت أتقيائة " (مز 116) 0
وفى صلاة الغروب نذكر الموت أيضاً ، و يناجى المصلى أمنا العذراء ويقول " وعند خروج نفسـى مـن جسدى إحضرى عندى ، و لمؤامرة الأعداء اهزمى ، ولأبواب الجحيم أغلقى ، لـئلا يبتلعـوا نفسـى يـا عروس بلا عيب للختن الحقيقى " 0

و فى صلاة الستار نذكر يوم الدينونة الرهيب ونقول " يا رب إن دينونتك لمرهوبة 0 إذ تحشـر النـاس ، وتقف الملائكة ، و تفتح الأسفار ، و تكشف الأعمال 00 اية إدانة تكون إدانتى أنا المضبوط فى الخطايا 0 من يطفئ لهيب النار عنى ؟! من يضئ ظلمتى إن لم ترحمنى أنت ؟!
وفى صلاة نصف الليل ، نذكر مجئ المسيح الثانى ، وفى أنجيلها يذكر مثل العذراى الحكيمات و الجاهلات (مت 25) و الاستعداد للقاء الرب 0 وأن يوم الرب يأتى كلص فى ساعة لا نتوقعها 0 وطوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده مستيقظا (لو12) 0 لذلك يقول فى الاستعداد للموت " لتكن احقاؤكم ممنطقـة و مصابيحكم موقدة و أنتم تشبهون عبيد ينتظرون سيدهم متى يأتى 00 " 0

✠ ✠ ✠

لاشك أن تذكار الموت مفيد ، ذلك تذكرنا الكنيسة به 0

وبخاصة فى صلاة النوم ، لأننا نعتبر أن النوم يشبه إلى حد ما الموت من جهة فقد الإنسان لإدراكـه 0 و يسميه البعض بالموت القصير 0
ومن أهم تذكارات الكنيسة للموت (أوشية الراقدين) 0 و الصلاة على الموتى 0 إذ يرى النـاس المـوت أمامهم ، و يسمعون الصلوات الخاصة به ، وكذلك الألحان الحزينة ، ويتأثرون بكل ذلك ، وبأن الموت هو نهاية لكل حى ، وبداية لحياة أخرى لا تنتهى 00

✠ ✠ ✠

و لا يجوز لى أن أنسى هذه الحقيقة أبداً 0 إنما يجب أن أستعد لها من الان 0
إن القديسين الذين وضعوا أمامهم صورة الدينونة باستمرار ، كانوا حريصين جداً فى روحياتهم 0 أما أهل العالم فكانوا يضعون أمامهم شهوة العالم و الأشياء التى فيه ، فكانت تجذبهم تلك الشهوات إليها 00 أمـا أولاد الله ، فكانوا يقولون كل ليلة فى صلواتهم " هوذا أنا عتيد أن أقف امام الديان العـادل ، مرعوبـا و مرتعبا من أجل كثرة خطاياى 0

✠ ✠ ✠

لذلك –قبل أن أقف أمام الديان العادل – يستحسن أن اقف أمام ضميرى ، وأمام حقيقتى 0

وما أعمق كلمة القديس مكاريوس الكبير " احكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك " 0 لأنك حينما تحكم على نفسك ، تكون أمامك فرصة أن تصلح نفسك ، و تصحح ما فيك من أخطاء 0 لا تنتظر إلى أن تقف أمام الديان العادل ، بعد فوات الفرصة ، فرصة التوبة و المغفرة 00
هوذا أنا عتيد أن اقف أمام الديان 00 وقفة الخشوع و الهيبة ، بل أيضاً وقفة الخوف 0 وقفة إنسان ينتظر الحكم عليه 0

✠ ✠ ✠

لم يقل : اقف أمام المسيح الحنون العطوف الطيب الغفور ، إنما أقف أمام الديان العادل 0

مسألة " العطوف الغفور " هنا على الأرض ، فى فترة الاختبار التى يمكن فيها أن تتوب 0 أما فى يوم الدينونة الرهيب ، فإنك تقف أمام الديان العادل 0 ليس أمام الرب الذى " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا " الذى كبعد المشرق عن المغرب ، ابعد عنا معاصينا " (مز 103 : 10 ، 12) 00 كل هذا قيل عن فترة إمكانية التوبة 00 أما فى ذلك اليوم ، فسوف تقف كل أعمالنا أمامنا – أقصد كل ما لم نقدم عنه توبة فى حياتنا الأرضية – نعم تقف أمامنا كل أعمالنا لا تبرح و لا تختفى 0

✠ ✠ ✠

تقول هذه العبارة فى صلاة النوم ، وأمامك كل اعمالك أثناء النهار 0

تحاسب نفسك عليها ، و تقدم عنها توبة قبل أن تنام 00 كما تقدم توبة آخرى عن أعمالك فى الأيام السابقة 00

و هذا يوافق ما نقوله ايضاً فى تحليل صلاة النوم " يا رب جميع ما أخطأنا به إليك فى هذا اليوم : إن كان بالفعل أو القول أو بالفكر أو بجميع الحواس ، فاصفح واغفر لنا من أجل إسمك القدوس كصالح ومحب للبشر " 0 نطلب المغفرة عن كل أخطانا 0 نحاول أن نضعها أمامنا لكى بالتوبة يمحوها الرب بدمه الكريم

✠ ✠ ✠

هناك عبارات قالها الرب فى فترة تجسده ، لا تقال فى يوم الدينونة الرهيب ، بعد أن يغلق الباب (مت 25 : 10 – 12) 0

مثال ذلك قوله للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل " و لا أنا أدينك " (يو 8 : 11) وقوله للتى مسحت قدميه بشعر رأسها " مغفورة لك خطاياك 00 اذهبى بسلام " (لو 7 : 48 ، 50) 0 وقوله " اما أنا فلست أدين أحداً " (يو 8 : 15) أو عبارة " لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ، ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم " (يو 3 : 17) 0

كل هذا عن فترة تجسده ، وفترة إمكانية التوبة بالنسبة إلى البشر

أما أمام الديان العادل ، فلا يوجد شفيع ، و لا يوجد حل ، إنما يوجد قضاء و حكم 00

✠ ✠ ✠

هنا على الأرض نتشفع بالقديسين 0 أما فى ذلك اليوم ، فلا توجد شفاعة 0 أنظروا ما قاله أبونا ابراهيم للرجل الغنى "اذكرانك استوفيت خيراتك على الأرض ، ولعازر البلايا 00 و فوق هذا كله بيننا و بينكم هوة عظيمة قد أثبتت 00 الذين يريدون العبور من هنا إليكم لا يقدرون 0 و لا الذين من هناك يجتازون إلينا " (لو 16 : 25 ، 26)

✠ ✠ ✠

يا أخوتى ، مخيفة ورهيبة تلك الساعة ، التى قال عنها الرسول " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب 10 ك 31) 0

حينما نقف أمام الديان 0 وأى ديان ؟ أمام الديان العادل ، الذى قيل عنه أنه يجازى كل واحد بحسب أعماله (مت 16 : 27) (رؤ22 : 12) 0 و كما قال القديس بولس الرسول " لأنه لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع : خيرا كان أم شراً " (2كو 5 : 10) 0 لهذا يقول المصلى فى صلاة النوم " هوذا أنا أعتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبا و مرتعداً من أجل كثرة ذنوبى " 00

✠ ✠ ✠

هنا على الأرض نقول " كرحمتك يا رب و لا كخطايا " 0 إذ يوجد مجال للرحمة ، لأنه يوجد مجال للتوبة 0 أما فى ذلك اليوم فتوجد دينونة على كلمة بطالة تخرج من أفواهكم " (مت 12 : 36) 0

توجد أمامنا الآية التى تقول " من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم " (مت 5 : 22) 0 و أيضاً عبارة " بكلامك تتبرر ، و بكلامك تدان " (مت 12 : 37) 00 إذن ليست الدينونة هى فقط عن الخطايا البشعة ، إنما على ما نظنها بسيطة أيضاً 0

إن كانت الدينونة هكذا خطيرة ، فاعمل على محو ذنوبك بالتوبة 0

واعمل اعمال رحمة كثيرة تقف إلى جوارك فى ذلك اليوم 0 إذ ان الرب قد قال " طوبى للرحماء فإنهم يرحمون " (مت 5 : 7) 0

اصنع لك أصدقاء من مال الظلم (لو 16 : 9) و اكنز لك كنوزاً فى السماء (مت 6 : 20) تجدها هناك

✠ ✠ ✠

و لماذا تقف مرعوبا و مرتعداً أمام الديان العادل ؟

تقول " من اجل كثرة ذنوبى " 00 ليتك تتخلص من هذه الذنوب و أنت هنا على الأرض 0 ليت ضميرك لا يبكتك على شئ قبل أن تقف امام الديان العادل 0 استمع بكل قلبك إلى قول الرسول " اصطلحوا مع الله " (2كو5 : 20) 0 هوذا القديس يوحنا الرسول يقول " إن لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله " (1يو 3 : 21) 0 فهل قلبك يلومك على شئ ؟ إذن اسرع و تخلص منها 00 الآن توجد فرصة ، تنال فيها الحل و المغفرة 0 أما فى ذلك اليوم ، فلا حل ولا مغفرة ، لأنه قد اغلق الباب 0 وكما قيل عن إيزابل فى سفر الرؤيا : "اعطيتها زماناً لكى تتوب 00 ولم تتب " (رؤ 2 : 21) 0

✠ ✠ ✠

أتقف مرعوباً من أجل كثرة ذنوبك ؟ هوذا الله قد أعطاك وعداً بمحو هذه الذنوب ، إن رجعت إليه 0

إنه يقول " ارجعوا إلى ، ارجع اليكم " (ملا 3 : 7) 0 فارجع إذن اليه 0 و إذا رجعت إليه ماذا يحدث ؟ إنه يقول عمن يرجع عن خطاياه " حياة يحيا ، لا يموت 0 وكل معاصية التى فعلها ، لا تذكر عليه " (حز 18 : 21 ، 22) 0

ويقول الرب فى سفر ارميا عن التائبين " لأنى اصفح عن إثمهم ، و لا اذكر خطيتهم بعد " (ار 31 : 34) 0 إذن سوف لا تجد فى يوم الدينونة هذه الذنوب التى لم يعد الله يذكرها 0 و كما قيل فى المزمور " طوبى للذى غفر إثمه و سترت خطيته 0 طوبى لإنسان لا يحسب له الرب خطية " (مز 32 : 1 ، 2) 0

و لقد سر بولس الرسول بهذه العبارة من المزمور ، فاستشهد بها فى رسالته إلى أهل رومية (رو 4 : 7 ، 8) 0 حقا ما أجمل عبارة " لا يحسب له الرب خطية " 0 لذلك يستخدمها الرسول فى المصالحة مع الله ، فيقول " غير حاسب لهم خطاياهم " (2كو 5 : 19) 0

فى يوم الدينونة لا نتجادل مع الله ، بل " يستد كل فم ط (رو 3 : 19) 0 لكنه هو يمحو خطايانا بدمه ، التوبة 0 أنا اعرف أنه يقال فى صلاة الستار " يا رب إن دينونتك لمرهوبة ، إذ يجتمع الناس ، و تقف الملائكة و تفتح الأسفار ، و تنكشف الأعمال ، و تفحص الأفكار 0 أية إدانه تكون إداتنى أنا المضبوط بالخطايا 00 " هذه الأسفار هى الكتب التى سجلت فيها أعمالنا 0 وفيها حصاد ما قد زر عناه على الأرض وكما يقول الكتاب " ما يزرعه الإنسان ، اياه يحصد أيضاً 0 لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً 0 و من يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية " (غل 6 : 7 ، 8)

يوم الدينونة هو يوم الحصاد 0 فهل زرعت للجسد أم للروح ، حتى تحصد نتاج زرعك حينما تقف أمام الديان العادل ؟ و لكن اسمع هذه الاية المعزية :

✠ ✠ ✠

"لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو 8 : 1)

إذن إن كنت المسيح يسوع ، و كنت تسلك حسب الروح و ليس حسب الجسد ، فلن تخاف حينما تقف أمام الديان العادل 00 و سوف لا يكتب إسمك فى اسفار الخاطئين ، بل فى سفر الحياة فهوذا القديس يوحنا

الحبيب يقول فى سفر الرؤيا " ورأيت الموات صغاراً و كباراً واقفين امام الله 0 و انفتحت أسفار 0 و انفتح سفر آخر هو سفر الحياة 0 و دين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم 00 دينوا كل واحد بحسب أعماله 00 وكل من لم يوجد مكتوبا فى سفر الحياة ، طرح من بحيرة النار " (رؤ 20 : 12 – 15)

✠ ✠ ✠

بحيرة النار هى الرعب الذى يرتعش منه الخطاة 0 و ايضاً الخجل و العار أمام الملائكة و القديسين وسائر البشر 0

أحباؤك يندهشون جداً حينما تنكشف أمامهم خطاياك 0 و أعداؤك يشتمون 00 يقولون : أين كان مخفيا هذا كله ، مما لم نكن نعرفه عنك ؟ أكان مخفيا تحت ثوب من الرياء كالقبور المبيضة ، تظهر من الخارج جميلة ، و هى من الداخل مملوءة عظام أموات و كل نجاسة (مت 23 : 27) 0

✠ ✠ ✠

حقا هو يوم رهيب ، يوم الوقوف أمام الديان العادل 0

بل مجرد يوم مجيئه للدينونة ، يقول فى ذلك القديس يوحنا الرائى : " 00 وملوك الأرض و العظماء و الأغنياء و الأمراء و الأقوياء ، و كل عبد و كل حر ، أخفوا أنفسهم فى المغاير و فى صخور الجبال 0 و هم يقولون للجبال و للصخور اسقطى علينا و اخفينا عن وجه الجالس على العرش و عن غضب الحمل 0 لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم 0 ومن يستطيع الوقوف ؟!

✠ ✠ ✠

ذلك اليوم ايضاً سيكون يوم مقارنة 0

بين الوقوف على اليمين ، و الوقوف على اليسار 0 بين الذين يقول لهم الرب " تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم " (مت 25 : 34) ، و الذين يقول لهم " اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس و ملائكته " (مت 25 : 41) 0

يوم تجتمع فيه أمام الرب جميع الشعوب ، فيميز بعضهم عن بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الداء (مت 25 : 32) 00 يوم تدخل فيه العذارى الحكيمات إلى العرس 0 بينما تقف الجاهلات خارجاً يتضر عن إلى الرب ن فيقول لهن " الحق أقول لكن إنى لا أعرفكن " (مت 235 : 12) 0

لذلك يقول المصلى فى صلاة النوم :

هوذا أنا أعتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبا و مرتعداً من أجل كثرة ذنوبى 0

لماذا يقف الإنسان مرعوبا و مرتعبا أمام الديان العادل 0

لأنه من ضمن العقوبات الطرد من أمام وجه الله ، و الطرد من مجمع البرار ، أو عدم الاستحقاق للتواجد فيه 0 عقوبة الطرد بدأت منذ آدم (تك 3 : 24) 0 و أخذت صورة أصعب بالنسبة إلى قايين ، الذى قال للرب " أنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، و من و جهك أختفى " (تك 4 : 14) 0

وفى الأبدية يكون الأمر أصعب حيث يقول الرب : لا أعرفكم 0

قالها للمتباهين بصنع المعجزات " إنى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم " (مت 7 : 23) 0 و قالها للعذارى الجاهلات " الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن " (مت 25 : 12) 0 و قالها لكثيرين من الخطاة " إنى لا أعرفكم من أين أنتم ! تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم " (لو 13 : 25 ، 27)0

لذلك قيل إنهم يطرحون خارجاً (لو 13 : 28) " فى الظلمة الخارجية " (مت 8 : 12) 0

"فى الظلمة " لأن الله نور ، والأبرار نور ، وأورشليم السمائية هى مدينة منيرة (رؤ 21 : 23) 0 و عبارة " الظلمة الخارجية " تعنى أن هؤلاء الخطاة يكونون خارج " مسكن الله مع الناس " (رؤ 21 : 3)

ما أصعب حالة هؤلاء المطرودين من الله !!

✠ ✠ ✠

إن الحرمان من الله هو أصعب عقوبة يتعرض لها الخطاة 0

الحرمان من النعيم الأبدى 0 الحرمان من عشرة الملائكة و القديسين 0 و الحرمان من شجرة الحياة 0 و من إكليل الحياة (رؤ 2 : 7 ، 10) 0 و من إكليل البر هذا الذى يهبه أيضاً الديان العادل (2تى 4 : 8) 0 الحرمان مما أعده الله للذين يحبونه : ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، و لم يخطر على قلببشر (1كو2 : 9) 00 الحرمان من الحياة الأبدية و من معرفة الله (يو 17 : 3) 0

لأجل كل هذا يقف الخاطئ مرعوبا و مرتعداً أمام الديان العادل 0

لأنه من ضمن العقوبات الطرد من أمام وجه الله ، و الطرد من مجمع الأبرار ، أو عدم الاستحقاق للتواجد فيه 0 عقوبة الطرد بدأت منذ آدم (تك 3 : 24) 0 و أخذت صورة أصعب بالنسبة إلى قايين ، الذى قال للرب " إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى " (تك 4 : 14) 0

وفى الأبدية يكون الأمر أصعب حيث يقول الرب : لا أعرفكم 0

قالها للمتباهين بصنع المعجزات " إنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى افثم " (مت 7 : 23) 0 و قالها للعذارى الجاهلات " الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن " (مت 25 : 12) 0 و قالها لكثيرين من الخطاة " إنى لا أعرفكم من أين أنتم ! تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم " (لو 13 ك 25 ، 27) 0

لذلك قيل إنهم يطرحون خارجاً (لو 13 : 28) " فى الظلمة الخارجية " (مت 8 : 12)

" فى الظلمة " لأن الله نور ، والأبرار نور ، و ارشليم السمائية هى مدينة منيرة (رؤ 21 : 23) 0 و عبارة " الظلمة الخارجية " تعنى أن هؤلاء الخطاة يكونون خارج " مسكن الله مع الناس " (رؤ 21 ك 3)

ما اصعب حالة هؤلاء المطرودين من الله !!

✠ ✠ ✠

إن الحرمان من الله هو اصعب عقوبة يتعرض لها الخطاة 0

الحرمان من النعيم الأبدى 0 الحرمان من عشرة الملائكة و القديسين 0 الحرمان من شجرة الحياة 0 ومن إكليل الحياة (رؤ 2 : 7 ، 10) 0 ومن إكليل البر هذا الذى يهبه أيضاً الديان العادل (2تى 4 : 8) 0 الحرمان مما أعده الله للذين يحبونه : ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر (1كو 2 : 9) 00 الحرمان من الحياة الأبدية ومن معرفة الله (يو 17 : 3) 0

لأجل كل هذا يقف الخاطئ مرعوباً و مرتعداً أمام الديان العادل 0

بالإضافة إلى الخوف من العذاب البدى (مت 25 : 46) فى " النار المعدة لإبليس و ملائكته " (مت 25 : 41) " حيث البكاء و صرير الأسنان " (مت 24 : 51)

و لكن الآن لايزال هناك مجال للنجاة من هذا كله 0

ان نتوب و نرجع إلى الله 0 حينئذ لا نقابله بخوف ، بل بفرح ، منصتين إلى وعده الكريم " أنا ماض لأعداكم مكاناً 00 آخذكم إلى ، و حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً " 0 يو 14 : 2 ، 3) 0 نعم ، هناك معه نعيش فى الفرح الذى لا ينتهى ، الذى لا ينزعه احد منا 00

2

توبى يا نفسى
مادمت فى الأرض ساكنة

وقف المصلى مرعوبا و مرتعباً أمام الديان العادل من أجل كثرة ذنوبه 0 ثم قال " توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة 0 لأن التراب فى القبر لا يسبح 0 ليس فى الموتى من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر بل أنهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى إلى المخلص بالتوبة قائلة ك إلهى ارحمنى و خلصنى 00 "

حسن جداً أن يستيقظ الإنسان ويرجع إلى نفسه 00

لأن كثيراً من الناس يقعون فى غفلة ، ولا يدرون ماهم فيه كإنسان يجرفه التيار ، أو تلفه الدوامة ، فلا يحسن بنفسه 0 وكما قال احد القديسين إن غالبية الخطايا ، يسبقها إما الكسل أو التهاون أو الغفلة 0 فيعيش الإنسان خارج نفسه 0 ولذلك حسنا قيل فى توبة الابن الضال غنه " رجع إلى نفسه " (يو 15 : 17) 0

هنا الإنسان – فى توبته – يستيقظ 0 و حبذا لو استيقظ مبكرا 0

ويقول مع المزمور " أنا اضطجعت و نمت ، ثم استيقظت ، لأنك أنت معى " (مز3) 0 نعم طوبى للإنسان الذى يستيقظ مبكراً 0 فلا يأخذه النوم مدة طويلة من الوقت 0 يستيقظ ويقول " هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبا و مرتعداً بسبب كثرة ذنوبى " 0 و هنا يدرك أنه كما أن الله رحيم ، هو أيضاً عادل ، هو أيضاً ديان ويقول بولس الرسول " هوذا لطف الله و صرامته 0 أما اللطف فلك إن ثبت فى اللطـف ، و إلا فأنت ستقطع " (رو 11 : 22) 0 إذن هناك أيضاً صرامة ، يمكن أن تحكم بالقطع 00

✠ ✠ ✠

البعض يشبه علاقة الله مع البشر بالمرآة 0

قد تنظر إلى المرآة ، فترى ، فترى وجها مبتسماً 0 وقد تنظر إليها فترى و جها متجهما 0 و المرآة هـى نفس المرآة 0 ولكنها تعكس الوجه الناظر إليها 0 و هكذا انت فى حالة البر ، تـرى وجـه الله القـدوس المحب للبر 0 و فى حالة خطيتك ترى وجه الله القدوس المشمئز من الخطية 00

مثل ملاك الفصح : الذى كان للبعض سبب هلاك ، و للبعض سبب نجاة ، يرى الدم فيعبر عنهم (خر 12) –0

البعض ينظر إلى الملائكة على أنهم رسل رحمة وحنو 0 و لكنهم أحياناً يكونون رسل دينونة وإهلاك و موت 0

ملاك القيامة كان للمريمتين سبب فرح 0 و بالنسبة للجند الحراس ، يقول الإنجيل " فمـن خوفـه ارتعـد الحراس و صاروا كأموات " (مت 28 : 4) 0 إذن هناك وقت ينظر فيه الإنسان إلى المـلاك فيتعـزى ، بينما ينظر إليه فى وقت آخر فيخاف 00 حسب حالة القلب من الداخل 00

الملاك الذى أرسل لمعاقبة داود على خطيته ، بسط يده على أورشليم لمعاقبتها 0 و ملاك ضرب من جيش سنحاريب 185) ألفا (2مل 19 : 35) 0 ملائكة آخرون كانوا للإنقاذ مثل الملاك الذى انقذ بطرس من السجن (أع 12 : 7 ، 8)

كذلك الرب : فى وقت تتكئ فى حضنه مع يوحنا (يو 13 : 25) 0 و فى وقت آخر يقال " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب 10 : 31) 0

ومكتوب أيضاً فى نفس هذا الإصحاح " إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحـة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، و غيره نار عتيدة أن تأكل المضادين 00 " (عب 1 : 26 ، 27) أيحدث هذا فى عصر النعمة ؟ نعم ، يتابع الرسول كلامه فيقول " 00 كم عقابا أشد ، تظنون أنـه يحسـب مستحقا من داس ابن الله ، و حسب دم العهد الذى قدس به دنسا ، و إزدرى بروح النعمة 00 لى النقمة ، أنا أجازى ، يقول الرب " (عب 10 : 29 ، 30) 0

✠ ✠ ✠

نقول هذا ، لئلا يظن البعض أن العقوبة كانت موجودة فى العهد القديم 0 أما العهد الجديد فكله حب ، و لا عقوبة فيه !!

على هؤلاء أن يقرأوا عن الويلات التى حدثت من أبواق الملائكة السبعة كما ذكرها سفر الرؤيا (رؤ 8 : 9) 0 وايضاً ليقرأ عن السبع جامات التى سكبها الملائكة السبعة على الرض و البحر و الهواء (رؤ 10) 0 و ما قيل فى كل تلك الإصحاحات عن غضب الله 00 كلام مخيف 0

✠ ✠ ✠

بالإضافة الى عقوبات الله ، و عقوبات الأبدية ، هناك عذاب الضمير 0

قد يحتمل افنسان إهانات و احتقار الاخرين له 0 ولكن من الصعب عليه أن يحتمل احتقاره لنفسه 0 لقد ذكر الرب " البكاء و صرير السنان " فى العذاب ألبدى (مت 13 : 42) 0 و لكن لاشك أنه يوجد على الرض ايضاً ، بكاء و صرير أسنان 00 من الندم و تانيب الضمير ، و حسرة الخاطئ بسبب ما قد فعله ، و هو يقول لنفسه : اين كان عقلى و قتذاك ، و اين كان ضميرى ؟!

إننا نقف امام الديان العادل هنا على الأرض ، وكذلك فى السماء

هنا نقف أمامه حينما ندخل فى محاسبة النفس ، و ننسى لذة الخطية و متعة العالم و الجسد و امادة ، بل نرتعب من تذكار ذنوبنا 00 و نلوم أنفسنا و نبكتها 0 وسعيد هو الإنسان الذى يبكت نفسه هنا ، و تحمى بالتوبة خطاياه ، قبل أن يقف فى اليوم الأخير مرعوبا و مرتعداً 00 و قد صدق القديس مكاريوس الكبير حينما قال " احكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك " 0

و فى تبكيت الإنسان لنفسه يقول له " توبى 00 مادمت فى الارض ساكنة " توبى ، لأنه توجد الآن فرصة للتوبة و للمغفرة 0 قبل أن تسمعى صوت الرب القائل " أعطيتها زمانا لكى تتوب 00 و لم تتب " (رؤ 2 : 21) 0 صدق الذى قال :

الذين فى الجحيم يشتهون دقيقة واحدة من عمر الأرض يقدمون فيها توبة 00

و لكن فاتت الفرصة ، و ضاعت فترة التوبة ، مهما صرخوا و قالوا : يا ربنا يا ربنا ، افتح لنا " (مت 25 : 11) فيجيبهم " اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم " (مت 7 : 23) " الحق أقول لكم إنى لم أعرفكم قط " (مت 25 : 12) (مت 7 : 23) 0

✠ ✠ ✠

إذن توبى يا نفسى ، مادمت فى الأرض ساكنة 0

مادام باب التوبة لا يزال حتى الان مفتوحاً ن قبل أن يغلق بعد الموت 0 إن القديس مارافرام يقول " الويل للمتوانى الذى سيطلب الزمان الذى أضاعه عبثا 00 اجتهد فى هذه الساعة الحادية عشرة قبل أن ينتهى النهار 00 فأغنم يومك هذا ، قبل أن ينطلق ، قبل أن يهرب منك 00" 0

إن اليوم الذى يضيع من حياتك ، لا تستطيع أن تسترجعه 0

قد تحزن عليه ، وقد تقدم عنه توبة 0 ولكنك لا تستطيع أن تستريجه 0 لقد انتهى 0 فحاول ان تعمل إذن لأبديتك فى هذا اليوم الذى تعيشه قبل أن يفلت منك ، ويصبح أمساً لا عودة له 0 أتذكر أننى قلت مرة :

ما حياتى غير أمس ضائع .:. كلها امس إذا طال الأمذ
إن يومى هو أمس فى غد .:. وغدى يصبح أمسا بعد غد

✠ ✠ ✠

أخشى أن كثيراً من الأبرار فينا : يقضون نصف العمر فى الخطايا ، و النصف ألاخر فى البكاء عليها !!

أو يقضون النهار فى ارتكاب الخطايا ، و الليل فى البكاء عليها 00 أما المحزن حقا ، فهو أن يقضى الناس و قتهم فى ارتكاب الخطايا ، و لا يجدون وقتا للبكاء عليها 00 ! وقد لا يجدون وقتا للندم على خطاياهم ، و من انشغالهم بعد ذلك فى ارتكاب خطايا أخرى !!

وأنت ، تراك من أى نوع ؟ هل من النوع الذى يبكى على خطاياه فى صلاة النوم ؟ ليتك تبكت ذاتك فى صلاة النوم ، كل يوم 00

✠ ✠ ✠

هناك إنسان لا يبكت نفسه على خطاياه ، لأنه بار فى عينى نفسه !

لا يعرف لنفسه خطية يبكت ذاته عليها !! يقول ماذا فعلت ؟! غالبا مثل هذا الإنسان مقاييسه الروحية غير سليمة ، و محاسبته لنفسه غير دقيقة ، أو هو من النوع الذى يجامل نفسه ، ويعذرها ويبررها فى كل ما

تفعله 00 أما أنت فلا تكن هكذا 0 و عليك أن تحيا حياة التدقيق ، و تبكت نفسك على كل عمل خاطئ ، و كل فكر منحرف ، و كل كلمة بطالة ، و كل شهوة لا تليق 00

✠ ✠ ✠

اذكر كيف كان داود النبى فى كل ليلة يبلل فراشه بدموعه (مز 6) 0 و كرر تلك العبارة التى نقولها فى الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل : " اعطنى يا رب ينابيع دموع كثيرة ، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة 0

و بعض الرهبان يصلونها هكذا : " إعطنى يا رب توبة نقية ، إعطنى يا رب غفران خطية ، إعطنى يا رب ينابيع دموع كثيرة سخية ، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة " 00 و البعض يلى هذه الصلاة بتفاصيل كثيرة فيقول " اعطنى يا رب ينابيع دموع كثيرة لأبكى على كذا " ويظل يسرد تفاصيل خطاياه و تقصيراته طالباً عن كل منها ينابيع دموع كثيرة 00

✠ ✠ ✠

و لكننا يا أخوتى ، نريد أن ندلل انفسنا ، و نقول لماذا نحزن ذواتنا بذكر خطايانا 0 و نفضل أن نقضى لياليا فى متعة !!

بينما يقول ماراسحق " الليل مفرز لعمل الصلاة " 0 ويقول المرتل فى المزمور " فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب " (مز 134) 0 أين هى لياليا المقدسة التى نقضيها فى الصلاة و التأمل و التوبة ، و نقول فيها " توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة 00 "

إن كنتى لن تتوبى فى القديم ، فتوبى الان ، ولو مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، ولو فى آخر ساعات الحياة كما فعل اللص اليمين 00 فالوقت وقت مقبول (2كو 6 : 2) 0

اطلب التوبة قبل أن يطبك الموت

إن كانت قد ضاعت منك ساعات النهار ، و عطلتك مشاغل كثيرة ، فلا تدع ساعات الليل تضيع منك 0 استغل بعضا منها فى الصلح مع الله 00 اطلب التوبة قبل أن يستغل الشيطان تهاونك و يقيدك أكثر فأكثر 0 واعرف أن الإنسان الذى يؤجل التوبة ، إنما يعطى فرصة للخطية لكى تتعمق فى حياته 0 فتتحول العشرة إلى سقطة ، و السقطة إلى عادة ، ثم إلى طبع !

لا تؤجل التوبة 0 لأنك لا تضمن أن تستمر زيارة النعمة التى معك ألان 00

لا تضمن رغبتك الحالية فى التوبة هل ستبقى أم ستفنى ؟ ولا تضمن بقاء الفرص التى قدمها لك الله 0 كذلك أنت لا تدرى ما يقدمه لك عدو الخير من الحروب ، إن رأى تهاوناً منك فى التوبة 0 تذكر أن فيلكس الوالى لما ارتعد من حديث القديس بولس عن البرو الدينونة و التعفف ، ولم ينتهز الفرصة للتوبة ، بل قال للرسول القديس " اذهب الان 0 و متى حصلت على وقت استدعيك " (أع 24 : 25) ، لم يقل الكتاب إنه حصل على وقت !!

كذلك لما تاثر أغريباس الملك ، وقال للقديس بولس " بقليل تقنعنى أن أصير مسيحيا " (أع 26 : 28) 0 ولم يستغل أغريباس الفرصة ، ضاعت منه 00

فلا تقل إذن لزيارة النعمة : اذهبى الآن إلى أن يحصل لة وقت 00

لا تكن مثل فيلكس واغريباس 0 و لا تكن مثل النبات الذى طلع قليلا ثم خنقه الشوك ، و لا مثل البذار التى التقطها الطير (مت 13 : 4 ، 7) 0 و لا تكن مثل العذارى الجاهلات اللائى ذهبن متأخرات لشراء الزيت (مت 25 : 10) 0

✠ ✠ ✠

يكفى الزمان الذى مضى 0 فلا تزد عدد خطاياك 0

من الجائز أن يجلس إنسان على نفسه ليحاسبها ، فيرى أنه ارتكب عدداً من الخطايا : لو وزعت على اهل العالم كله ، لصبح كل منهم خاطئا! ولو وزعت أفكاره الشريرة عليهم لتنجس الكل !!
لا تقل أنا صغير ، و حينما اكبر ساتوب 0 وربما حينما تكبر ، تصبح التوبة صعبة عليك ، من فرط تعودك عليها وارتباطك بها و جريانها فى دمك 0 كما ان توبة الشيخوخة قد تكون رخيصة 0 لذلك قال الكتاب " اذكر خالقك فى أيام شبابك 00 " (جا 12 : 1) 0 ويكون جسدك قد ضعف ، و لست انت الذى انتصرت عليه 0 لا تقل مثالى هو اللص اليمين ! لا تضمن ، فقد يكون مصيرك كاللص الآخر الذى كان وهو فى ساعات الموت يجدف على المسيح (لو 23 : 39 – 41)

✠ ✠ ✠

عندما تقول توبى يا نفسى ، حول ذلك إلى توبة عملية 0

لا تجعلها مجرد فكرة أو رغبة 0 فالابن الضال عندما قال " أقوم الآن وأذهب إلى أبى " قام مباشرة و ذهب إلى أبية (لو 15 : 18 ، 20)0 يقول المصلى لنفسه : توبى قبل الموت 0 لماذا ؟

لأن التراب فى القبر لا يسبح 0 ليس فى الموت من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر 0

بهذه الآية يمكن الرد على المشتغلين بعلم الأرواح الذين ينادون بأنه توجد توبة بعد الموت !! نرد أيضاً بقول الكتاب فى مثل العذراى " و اغلق الباب " (مت 25 : 10) 0 وبقول السيد المسيح لليهود غير المؤمنين به " تموتون فى خطاياكم 0 و حيث أمضى أن لا تقدرون أنتم أن تأتوا " (يو 18 : 21) 0 وايضاً قول أبينا ابراهيم لغنى لعازر " بيننا و بينكم هوة عظيمة قد اثبتت 0 حتى الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون 0 و لا الذين من هناك يجتازون إلينا " (لو 16 : 26) 0

لذلك ينبغى التوبة من الآن 00

ونحن فى الجسد ، وفى العالم المادى 0 ننتصر على الجسد قبل أن نخلعه 0 حتى إذا ما خلعناه بالموت نخلع جسداً تائبا 0 متذكرين قول الرسول " لأنه لابد أننا جميعا ، نظهر أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً أم شراً " (2كو 5 : 10) 0

3

توبى يا نفسى

إنهضى من رقاد الكسل

كل إنسان يقول لنفسه " توبى " 0 فالتوبة للكل ، وليست فقط للمبتدئين فى حياة الروح
ليس إنسان بلا خطية ، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض 0 إنما تختلف نسبة و نوعية الخطية 0

يقول " توبى يا نفسى ، لأن نفسه هى السبب فى الخطية ، مهما كانت الأسباب الخارجية 0 لأن هذه الأسباب إن لم تخضع لها النفس فلا تخطئ 0

حسنا أن يدعو الإنسان نفسه على التوبة ، قبل أن يدعوه الناس إلى ذلك 0

لاشك أن الدافع الداخلى هى الأقوى و الأفضل 0 لأن الذى ليس له هذا الدافع الداخلى ، وربما يتعب معه المرشدون والآباء الروحيون 0 و على رأى المثل العامى (اللى ما يجيش من نفسه ، سواقه تعبان 0

✠ ✠ ✠

هناك أسباب كثيرة تجعل الإنسان يقول لنفسه : توبى 0

يوجد إنسان محبته لله عميقة جداً 0 و قلبه بلتهب بالنار إذا أخطأ و ضميره يبكته بشدة ، فيقول لنفسه توبى 0 وإنسان آخر حطمته الخطية ، و تعب من نتائجها الرديئة ومن المصائب التى جرتها عليه ، فيقول : توبى يا نفسى 0 وإنسان آخر يتعبه مرض خطير أو تتعبه مشاكل معقدة ، فيلجأ إلى الله ليصطلح معه ن ويقول لنفسه توبى ، خوفاً من أن يكون الله قد تخلى عنه بسبب خطاياه ، فأحاطت به الضيقات 0
وإنسان أتته الفرصة أن يجلس إلى نفسه يحاسبها ، فوجد أنه فى الموازين إلى فوق ، فيقول توبى يا نفسى 00

✠ ✠ ✠

يحتاج الإنسان أن يكره الخطية ، لكى يتوب 0

اما الإنسان الملتذ بالخطية ، فليس فى نيته أيقول " توبى يا نفسى " ، لأنه لا يريد أن يتوب !! كذلك الإنسان الذى لم يقتنع بعد بأنه فى وضع خاطئ 0 لذلك يحتاج ان يعدل موازينه وقيمه ، بترك ما هوفيه 0

فيقول " توبى يا نفسى " 00 توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة 0

لأن التراب فى القبر لا يسبح 0 ليس فى الموتى من يذكر ، و لا فى الجحيم من يشكر 0 فالإنسان بعدما يدخل جسده إلى القبر ، ويتحول على تراب ن ليس من المعقول أن يسبح الله 0 وإن كانت نفسه الخاطئة قد ذهبت على الجحيم ، فلن تشكر هناك ، وليس أمامها مجال للتوبة بعد مفارقتها للجسد 0 لذلك يقول لها

✠ ✠ ✠

إنهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى للمخلص بالتوبة 0

الشخص الروحى باستمرار حواسه مستيقظة ، وأفكاره منتبهة لله 0 يرقب كل شئ بوضوح 0 واخذ باله من نفسه 0 أما الخاطئ فهو متهاون من جهة خلاص نفسه ، يحتاج أن ينهض من رقاد الكسل ، من الغفلة التى هو فيها 0

✠ ✠ ✠

رقاد الكسل هذا يشمل الجسد و الروح كليهما : الجسد كسلان لا يسهر فى الصلاة 0 و الروح أيضاً كسلانة و متهاونة 0 لذلك يدعونا الرب إلى السهر ويقول : " لتكن احقاؤكم ممنطقة ، وسرجكم موقدة 0 " (لو 12 : 35 ، 36) 0 لذلك يقول بعدها " طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين " (لو 12 : 36) 0 ويقول أيضاً : لئلا يأتى بغتة ، فيجدهم نياماً " (مر 13 : 36) 0

من جهة الجسد ، كان آباؤنا يسهرون الليل كله فى الصلاة ، كما كان يفعل القديس أرسانيوس 00 و كما يقال فى أحد مزامير صلاة النوم " فى الليالى ارفعوا أيديكم ايها القديسون وباركوا الرب " (مز 133)
ومن جهة الروح ، يلزمنا السهر الروحى) 0 فعلينا أن تكون أرواحنا متيقظة ، لا تسمح لأى فكر خاطئ أن يدخل إليها 00
و لا يستطيع إنسان أن يعتذر بعدم قدرته على السهر فى الصلاة لأنه كثيراً ما يسهر فى أحاديث تستهويه ، أو فى برنامج تلفزيونى يجذبه 0 أو يسهر فى الاستعداد لإمتحان ، أو فى بحث مشكلة ما 00 إن السيد

الرب قد وبخ تلاميذ قائلا : أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة و احدة ؟! (مت 26 : 40) 0 إنه تأنيب لنا جميعاً 0

✠ ✠ ✠

و السهر ليس معناه أن يستيقظ الإنسان ، ولو فى أحاديث باطلة ، إنما المقصود أن يسهر فى عمل روحى كما قال الرب لتلاميذ " أت تسهروا معى 00 " 0 يا ليتكم إذن تستطيعون أن تحفظوا مزامير و صلوات ، تستطيعون أن تصلوا بها فى الليل ، ولو فى الظلام ، دون أن يلاحظكم أحد 00 إن كان أحد يتفادى أن يراه أقرباؤه ممسكاً بأجبية تصلى 0

إن تدريب " تمضية الليل كله فى الصلاة " ، هو تدريب خاص بالقديسين 0 و كان يمارسه الاباء الرهبان 0 أما بالنسبة إليك ، فعلى الأقل تقضى فى الصلاة ما تستطيعه من الليل 0 و لا تكن كأهل العالم الذين يقضون الليل فى اللهو و العبث 00 و صدق أحد ألاباء حينما قال عن العمل الروحى :

من يكسب صداقة الليل ، يمكنه أن يقضى النهار حسنا مع الله 0

اى أن ما يختزنه من تأملات وأفكار روحية فى الليل ، تصحبه كل هذه بالنهار ، و تتقذه من حروب الخلطة مع الناس و الإنشغال فى الماديات 0

فكروا معى يا أخوتى : كيف نقضى لياليا مع الله ؟ و هل يوجد من هو ألذ من المسيح فى لياليكم 0 وما الثمر الذى تجنونه من كل ليلة ؟ و هل لياليا للجسد أم للروح ؟ و لا شك أنه حسب قضاء الليل تكون أحلام الليل ايضاً 00 أمران أمامنا يجب أن نتفادى كل منهما : رقاد الكسل ، و السهر الخاطئ 0 وفى السهر الخاطئ ، ورقاد للروح 0 فانهضى يا نفسى من رقاد الكسل ، و تضرعى للمخلص بالتوبة ما أجمل أن نتذكر قول داود النبى ، رجل الصلاة :

" أنى لا أدخل إلى مسكن بيتى ، و لا أصعد على سرير فراشى ، و لا أعطى لعينى نوماً 00 على أن أجد موضعا للرب و مسكنا لإله يعقوب " (مز 131) 0

فهل أنت هكذا لا تعطى لعينيك نوماً ، إلا أن أوجدت للرب موضعاً فى قلبك ، وفى قلوب الناس أيضاً ؟ حاول أن تفعل هكذا 0 سواء السهر فى الصلاة ، أو السهر فى الخدمة ، أو فى كليهما 0 و لا تترك نفسك لعبث الليل و ملاهيه 0

✠ ✠ ✠

إننى حزين على الليل الذى ضاعت سمعته ، واصبح مجالاً للمغنين و المغنيات ، و للر اقصين و الراقصات حتى ان عبارة (النوادى الليلية) Night Clubs أصبحت إسما سيئا يسيطر عليه الشيطان 0 و من يتردد على هذه النوادى ، تسوء سمعته 00

لذلك فالقديسون الذين يعيدون لليل كرامته ، و يضمونه إلى ملكوت الله ، لا ينسى لهم الرب تعبهم وسهرهم وصلواتهم 00 هؤلاء الذين يرون الناس نائمين فى الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك " " سبقت عيناى وقت السحر ، لأتلو فى جميع أقوالك " " كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات ألسحار كنت أرتل لك " (مز 119)

✠ ✠ ✠

نعم يا أخى ، إن كان العالم قد اشترى منك النهار ، وأعطاك ثمنه و ظيفة و مرتباً ، فإنه يبقى لك الليل تقضيه مع الله 0 لا تمنعك عنه المشاغل التى أخذت منك وقتك بالنهار 00 هذا الليل فى هدوئه و فى صفاته ، وفى بعده عن الخلطة وعن المعطلات ، هو مجال طيب لعلاقة مع الله ، تتبثه أشواقك ، و تعتذر فيه عما شغلك عنه بالنهار 00 و لا عذر لك بالليل ، إن تكاسلت عن الوجود فى حضرة الله وإن تكاسلت نفسك ، واعتذرت بالتعب أو الرغبة فى النوم ، وبخها قائلا لها " انهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى للمخلص بالتوبة 00 " 0

✠ ✠ ✠

صادق الليل ، الذى يشتهى صداقتك مقدما لك هدوءه 0

و مقاما لك بعدهعن ضوضواء العالم و ضجيجه ، وبعده عن الذين يعكرون صفو هدوئك باللقاءات و الأحاديث 00 لا تضيع ثلث حياتك نوماً 0 إنما قطع الليل بالصلاة 0 وحتى إن صعدت إلى فراشك ، قدسه بالمزامير و بالصلوات بالأفكار الروحية ، حتى يكون نومك طاهراً ، و المض جع مقدساً 0 وصلواتك فى الليل تغرس فى عقلك الباطن أفكاراً مقدسه، تغذى روحك و تعينك فى محارباتك 0 0
و كما يكون الله آخر من تتحدث إليه قبل نومك فى الليل ، يكون الله ايضاً أول من تتحدث إليه حينما تستيقظ فى النهار 0 فيكون هو البداية و النهاية فى كل يوم من ايامك 0

ما أكثر ما نعاتب الله كأنه لم يعطنا 0 وما أقل أن نعاتب أنفسنا ، لأننا لم نعط الله ما يجب من وقتنا 00

لا تتم أكثر مما يحتاج جسدك 0 فالنوم الكثير يتعب جسدك بالخمول ، و يتعب روحك أيضاً فى حرمانها من وقت يمكن أن يكون مع الله ، لفائدتك 00 أما اليقظة فتعطيك نشاطاً و حركة 00 ليتكلم حينما ترجعون الليلة إلى بيوتكم ، تضعون أمامكم قول الرب " أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة " (مت 26 : 40) 0 و كلما تكسل نفسك فى عملها الروحى ، وبخها قائلا " انهضى من رقاد الكسل ، و تضرعى 00 "

✠ ✠ ✠

لا تترك نفسك فى دوامة : ليل يسلمها إلى نهار ، ونهار يسلمها إلى ليل ، وكأنها فى غيبوبة أو فى غفلة ، لا تدرى ما هى فيه 0 كمن هو فى دوامة ، تلفه الأمواج و تسحبه معها إلى أسفل 00 وإن حدث وأخذك النوم ، قل لنفسك " أنا أضجعت و نمت ، ثم استيقظت لأن الرب معى " (مز 3) 0 و قل " انا استيقظت مبكراً " 00

قم من نومك ، كما قامت العذارى الحكيمات 0

مصباحك فى يدك ، وهو مملوء زيتاً 0 و الزيت يرمز إلى الروح القدس 0 واسهر منتظراً العريس السمائى 0 لأنك لا تعرف متى ياتى : أمساء ، أم نصف الليل ، أم صياح الديك ، أم صباحاً " (مر 13 : 35) 0 فكن مستيقظا باستمرار للقاء الرب 0

✠ ✠ ✠

فحينما تطلب من نفسك أن تنهض من رقاد الكسل لتكن هذه دعوة دائمة تستمر مدى الحياة 0

فى الواقع عن الكسل فى الحياة الروحية ، إنما يضيع حياة الإنسان 0 مثلما وبخ الرب الذى دفن وزنته فى التراب ، و لم يتاجر بها ويربح 0 فقال له الرب " ايها العبد الشرير و الكسلان 00 " (مت 25 : 26) 0 فهذا الذى لم يربح بوزنته ، اعتبر شريراً و كسلاناً 00

عليك إذن أن تربح روحيات لنفسك ، و تربح نفوساً للمسيح 0

و تربح نمواً لك و للكنيسة 00 و توبخ نفسك كلما تكسل ، و لا تقبل منها أعذاراً فى ذلك مثلما قال الكسلان " الأسد فى الطريق ، الشبل فى الشوارع " (أم 26 : 13) 00 كل العذار يمكنك أن تنتصر عليها ، إن كانت رغبة صادقة فى الحياة مع الله 00

✠ ✠ ✠

عن الشيطان يمكن أن يحاربك بمخاوف كثيرة ، ويقدم لك تبريرات للكسل 0 فلا تسمع له 00 واعرف أن أولاد الله ينبغى ان يكونوا شجعاناً ، مثلما قيل عن حراس عرش سليمان إنهم جبابرة " كلهم قابضون على سيوفهم 0 و متعلمون الحرب 0 كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل " (نش 3 : 7 ، 8) 0

أولاد الله يكونون دائما " حارين فى الروح " (رو 12 : 11) 0

و أنهم " غير متكاسلين فى الإجتهاد " 0 و كما قال لهم الرسول " كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين 0 عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب " (1كو 15 : 58) 0

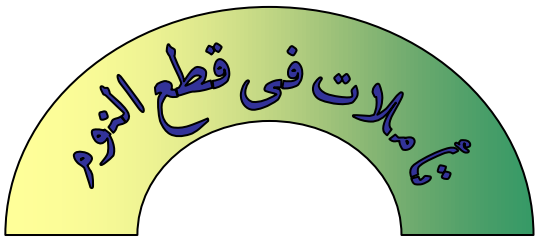

4

أيتها العذراء الطاهرة

أيتها العذراء الطاهرة :

أسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك
وأبعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى 0
و أنهضى نفسى المريضة للصلاة و السهر ،
لأنها استعرقت فى سبات عميق 0
فإنك أم قادرة رحيمة 0
والدة ينبوع الحياة ، ملكى وإلهى
يسوع المسيح رجائى

أهى صلاة أم إستشفاع ؟

غير الأرثوذكس ، الذين لا يتشفعون بالعذراء القديسة مريم ، لا يصلون هذه القطعة و أمثالها فى الجبية ، ظانين أنها صلاة موجهة إلى القديسة العذراء ، بينما الصلاة هى لله وحده !

و لكننا لا نصلى أبداً إلى العذراء مريم 0 وإنما أثناء صلاتنا لله ، نتحدث إليها ، طالبين معونتها 0 و هـذا الأمر مألوف جداً فى الكتاب المقدس 0 و بخاصة فى مزامير داود

✠ ✠ ✠

1- أثناء صلاة داود فى المزامير ، يتجه إلى نفسه و يخاطبها :

فيقول فى صلاته : " باركى يا نفسى الرب ، وكل ما فى باطنى فليبارك اسمه القدوس 0 باركى يا نفسى الرب ، و لا تنسى كل حسناته " (مز 103 : 1 ، 2) 0

وهو يخاطب نفسه أثناء صلاته فى (مز 42 : 5) ويقول " لماذا أنت حزينة يا نفسى ؟ لماذا تزعجيننى ؟ توكلى على الله 00 "

ويقول لنفسه فى مزمور آخر " ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك ، فغن الرب قد أحسن إلى " مز 116 : 7) و يتحدث داود إلى نفسه فى صلوات الأجبية فيقول :

" توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة 0 لأن التراب فى القبر لا يسبح ، وليس فى الموتى من يذكر

وأيضاً أثناء صلاته ، يلتفت إلى نفسه ويقول لها :

و لو كان العمر ثابتا ، و هذا العالم مؤبداً ، لكان لك يا نفسى حجة واضحة 0 لكـن إذا إنكشـفت أفعالـك الرديئة وشرورك القبيحة أمام الديان العادل ، فأى جواب تجيين ، وأنت على سرير الخطايا منطرحة ، وفى إخضاع الجسد متهاونة ؟!" هل نقول هنا أن المصلى يصلى إلى نفسه ؟ أهذا معقول؟! أم نقول إنـه فـى صلاته إلى الله ، يلتفت إلى نفسه و يخاطبها ، أمام الله 00

✠ ✠ ✠

2- وكما يخاطب نفسه أثناء صلاته ، كذلك يخاطب الملائكة :

فيقول فى (مز 103) " باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامـه 0 اباركوا الرب يا جميع جنوده خدامه العاملين مرضاته " 0

ولعله ايضاً كان يتجه إلى الملائكة حينما قال فى مزمور آخر : " أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم ، و ارتفعـى أيتها الأبواب الدهرية ، فيدخل ملك المجد 00 " (مز 24) 0

فهل نقول أن داود كان يصلى إلى الملائكة ؟! كلا طبعا 0 ولكنه كان يخاطبهم أثناء صلاته وأحيانا بـروح النبوة 0

✠ ✠ ✠

3-بل إنه كان فى صلاته ، يتجه أحيانا إلى الشياطين أو الأشرار ويخاطبهم 0

و هكذا نراه وهو يصلى فى المزمور السادس ، يتجه إليهم ويقول : أبعدوا عنى يا جميع فاعلى الاثم 0 لأن الرب قد سمع صوت بكائى 0 الرب سمع صوتى تضرعى 0 الرب لصلاتى قبل " 0

✠ ✠ ✠

4-وداود أثناء صلاته يخاطب مجموعات كثيرة من الناس 0

فنراه يقول فى مزمور آخر " سبحوا الرب أيها الفتيان 0 سبحوا الرب 0 ليكن اسم الرب مباركاً من الان وإلى الأبد 0 من مشارق الشمس إلى مغاربها ، باركوا اسم الرب0 " (مز 113) 0
وفى مزمور آخر يقول " قدموا للرب يا ابناء الله ن قدموا للرب أبناء الكباش 0 قدموا للرب مجداً وكرامة قدموا للرب مجداً لإسمه 0 اسجدوا للرب فى دار قدسه 00" (مز 29) 0
ويقول فى (مز 98) " سبحوا للرب تسبيحاً جديداً 00 هللوا للرب يا كل الأرض 0 سبحوا و هللوا 0 رتلوا للرب بالقيثارة ، بالقيثارة وصوت المزمار 00 هللوا امام الرب الملك " 0
(و المزمور 100) كله بنفس هذا الأسلوب " هللوا للرب يا كل الأرض 00 " و كذلك (مزمور 47) كله " جميع الأمم صفقوا بأيديكم 00" فهل داود كان يصلى على جميع الأمم ، وإلى كل الأرض ؟! أم كان وقت صلاته ، يتجه إليهم ، ويدعوهم إلى الصلاة معه 00

✠ ✠ ✠

5-و كان داود فى صلاته ، يتجه إلى أورشليم ويخاطبها :

فيقول فى (مز 147) " سبحى الرب يا اورشليم ، سبحى إلهك يا صهيون 0 لأنه قوى مغاليق أبوابك ، بارك بنيك فيك 0 وجعل تخومك فى سلام " 0 ويقول لها فى (مز 87) " أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله " فهل من المعقول أنه كان يصلى لأورشليم ؟!

✠ ✠ ✠

6-إن كان الأمر هكذا ، و إن كان داود – بروح الله – قد اتجه إلى كل هؤلاء فى صلاته و خاطبهم 00 0فلماذا لا نتجه نحن أيضاً فى صلاتنا إلى العذراء و نخاطبها طالبين شفاعتها ؟!

أيتها العذراء الطاهرة :

إننا نطوب العذراء فى بتوليتها ، وفى أمومتها ، وفى معونتها

لقد عاشت عذراء ، وولدت وهى عذراء ، استمرت عذراء بعد ولادتها للسيد المسيح ، لذلك تلقبها الكنيسة بلقب " دائمة البتولية " 0 وهنا نناديها فى صلاتنا بعبارة " ايتها العذراء الطاهرة " 0
إن مجرد كلمة (العذراء) بدون ذكر اسم ، تعنى العذراء مريم 0 فهذا هو الإسم الذى اشتهرت به 0 وهو الاسم الذى ذكره اشعياء النبى حينما قال " ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل " (اش 7 : 14) 0 و هذه الآية هى التى طمأن بها الملاك يوسف النجار (مت 1 : 22 ، 23)

و بهذا اللقب نناديها فى صلاة النوم " أيتها العذراء الطاهرة " 0

دون أن نذكر اسمها 0 ولكن مجرد عبارة " أيتها العذراء " تكفى 00 إننا نحب العذراء من أعماق قلوبنا ، ونوقوها 0 وما أكثر التسابيح التى باسمها ، وبخاصة فى الأبصلمودية الكيهكية 0 وما و ما أكثر كنائسنا التى تبنى أيضاً باسمها 0 وما اكثر ظهوراتها فى مصر ومعجزاتها 00

أسبلى ظلك السريع المعونة :

و الظل يعنى الحماية 0 كما نقول فى المزمور " الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت " (مز 91 : 1) 0 وكما تقول عذراء النشيد عن الرب " تحت ظله اشتهيت أن أجلس " (نش 2: 3) 0 وكما قال الأنبا بولس البسيط لمعلمه الأنبا انطونيوس " أعيش تحت ظل صلواتك " 0
و هنا ظل سريع المعونة 0 أى أن الشفاعة بها سريعة فى استجابتها 00 و هذه نقطة إيمانية عملية ، نشعر بها فى حياتنا 0

و عبارة " اسبلى ظلك " معناها أدخلينا تحت حمايتك ورعايتك وفى أى شئ نطلب الحمايــة ؟ يــذكر المصلى هنا نقطتين :

أ-ابعدى أمواج الأفكار الردية عنى 0

ب-أنهضى نفسى المريضة للصلاة و السهر 0

إننا نطلب أن تبعد عنا الفكر الردئ سواء فى الصحو ، أو فى خيالات النوم إن نمنا 0 وهنا يبدو إيماننا بقوة شفاعة العذراء فى حمايتنا من امواج الأفكار الردية 0 ويساعدها على ذلك امــران : أمومتهــا ، وقدرتها 0

فإنك أم قادرة رحيمة :

إنها أم لنا جميعا 0 إن كان السيد المسيح قال عن العذراء للقديس يوحنا الرسول الحبيب " هذه أمك " (يو 19 : 27) 0 وهذا القديس يقول لنا " يا أولادى " (1يو 2 : 1) 0 فبالتالى تكون العذراء أمنا ، مادامت أم أب لنا 00 وبالتالى كانت هى الأم الروحية لجميع الرسل 0

وهى أم المسيح بالجسد 0 وهو أيضاً يقول لنا " يا أولادى " (يو 13 : 33) و هكذا تكون هى أمنا ، لأنها أم أبينا " والدة ينبوع الحياة " 0

إننا لا ننظر إلى العذراء فقط كقديسة عظيمة ، بل أيضاً كأم و ليست كأم عادية ، بل " أك قادرة رحيمة معينة " 0

وبهذا نثق فى قدرة شفاعتها ، المبنية على حنان أمومتها ، وعلى منزلتها العظيمة عند ربنا يسوع المسيح 0 وهكذا يقول المصلى عنها " والدة ينبوع الحياة ملكى و إلهى ، يسوع المسيح رجائى "

ومادام رجاؤنا هو يسوع المسيح ، فإننا نلجأ إلى أمه ، ذات الشفاعة المقبولة التى أول معجزة له فى قانا الجليل ، بشفاعتها " (يو 2: 3)

الفهرست

المقدمة	5
تفسير مزامير :	
مزمور من الأعماق صرخت إليك يا رب	7
مزمور ها باركوا الرب	23
مزمور سبحى الرب يا أورشليم	37
تأملات فى صلوات قطع النوم :	
1-هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل	49
2-توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة	65
3-توبى يا نفسى انهضى من رقاد الكسل	77
4-أيتها العذراء الطاهرة	87